خصائص البينة في القرآن الكريم
-دراسة موضوعية-

دكتور/ حسن ثابت صلاح الحازمي
أستاذ مساعد التفسير وعلوم القرآن – قسم أصول الدين
كلية الشريعة وأصول الدين– جامعة نجران
المملكة العربية السعودية

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن أجلَّ علم صرفت فيه الهمم، علم الكتاب المنزل؛ إذ هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فيه الهدى والشفاء، والرحمة والبيان، والموعظة الحسنة والتبيان، فلو أُنْفِقَت فيه كل الأعمار، وبُذِلَت في دراسته كل الجهود لما أنضبت من معينه شيئًا؛ ومن هنا اجتمعت كلمة علماء الأمة على ضرورة العناية بتفسيره، وبيانه ودراسته، واستدرار كنوزه، والنهل من معينه العذب النمير؛وقد اختلفت أوجه اهتمام العلماء بالقرآن الكريم، فمنهم من عمد إلى تفسيره كله، ومنهم من اقتصر على تفسير سور أو آيات منه، ومنهم من صرف اهتمامه إلى جانب من جوانب إعجازه، فتناوله بالبحث والتحقيق والتدقيق، حتى أصبحت مؤلفاتهم حوله خير عون للباحثين من أهل القرآن الذين يريدون الغوص في بحره الزاخر، واستخلاص شيء من الدرر والجواهر.

ولقد تفضل الله عليَّ بأن جعلني أسير في البحث في كتاب الله –عز وجل– إذ إن كتاب الله حجة وبرهان على الأمة المحمدية أجمع؛ولما كان الإسلام دين حرية لا دين إكراه وإلزام، وأصدق دليل على ذلك أنه جاء بالبينات والحجج، فما من نبي ولا رسول إلا وقد جاء ببينة من ربه تكون حجة على قومه، ودليلًا وبرهانًا على صدق رسالته؛من

هذا المنطلق أصبحت **(البينة)** ذات مكانة كبيرة، وأهمية عظيمة الشأن في الدعوة إلى توحيد الله، والوصول إلى مراده جلّ علاه.

لما كان ذلك الأمر من العظمة والأهمية ألحّ بداخلي، وأثار قلبي وعقلي وكياني بأكمله أن أخوض في **(مفهوم وخصائص البينة في القرآن الكريم)** مستعرضًا بعضًا منها بالتحليل متتبعًا **المنهج الاستقرائي الوصفي والتحليلي،** للسياقات المختلفة التي وردت فيها لفظة (البينة) وأسأل الله –عز وجل– أن يتقبل عملي هذا، وأن يكون خالصًا لوجهه العظيم.

أهمية الموضوع:

وتكمن أهمية الموضوع في النقاط التالية:

١) مكانة البينة وأهميتها في الدعوة إلى توحيد الله منذ خلق الإنسان.
٢) عظم شأن البينة في القرآن بمعانيها المختلفة.
٣) أنها حجة ظاهرة يتميز بها الحق من الباطل.
٤) أنها تعني الوضوح واليقين والاطمئنان.

- **أسباب اختيار الموضوع:**

١) إرادة التعرف على مفهوم البينة في القرآن الكريم، وكيفية الإتيان بها.
٢) إرادة توضيح وبيان أثر البينة في نشر الدعوة، والتوحيد الخالص.
٣) الرغبة في إبراز دور البينات التي ساقها القرآن الكريم في الإقناع وأثرها في الهداية.

- **أسئلة الدراسة:**

١) ما هو مفهوم (البينة) في القرآن الكريم؟
٢) كيف ساق الله تعالى البينات في القرآن الكريم؟
٣) ما أثر البينات القرآنية على العقول البشرية؟
٤) كيف أظهر القرآن الكريم تلقي الأنبياء –صلوات الله وسلامه عليهم– للبينات الربانية؟

- **الأهداف:**

١) بيان مفهوم البينة في القرآن الكريم.
٢) الكشف عن الطريقة التي ساق الله تعالى بها البينات في القرآن الكريم.

٣) بيان أثر البينات القرآنية على العقول البشرية.

٤) بيان كيفية تلقي الأنبياء لهذه البينات، وكيفية عرضها على قومهم.

- **الدراسات السابقة:**

بعد بذل الجهد في البحث في المكتبات المتخصصة، وقاعات الدوريات والرسائل، والمجلات العلمية المحكمة وغير ذلك من المظان لم أعثر على رسالة أو بحث تناول هذا الموضوع، ولا حتى على موضوع قريب منه.

- **منهج البحث :**

اقتضت طبيعة البحث تناوله من خلال المنهج الاستقرائي(١) المنهج التحليلي(٢) والنقدي(٣)

خطة البحث :

اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة ، وخمسة مباحث ، ثم الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات ثم فهرس المصادر والمراجع، وفهرس المحتويات.

أما المقدمة فقد تناول فيها البحث : أهمية الموضوع، أسباب اختياره، ومشكلة البحث، والدراسات السابقة، وحدود الدراسة، ومنهج البحث، وخطة البحث.

---

(١) هو عبارةٌ عن عمليةٍ دقيقةٍ تسعى إلى حصر البيانات، وملاحظة الظواهر المرتبطة بها بهدف الربط بينها بمجموعةٍ من العلاقات الكلية العامة، وتنحصر وظيفة الاستقراء في محاولة تتبع القضية –محل الدراسة– و ربط أجزائها ببعضها البعض واستخلاص حكم كلي عام ، ومن هنا يتبين لنا أن المنهج الاستقرائي يعني استقراء الجزئيات ليستدل منها على الكليات، أو ليستدل منها على الرابط العام بين هذه الأجزاء ، لذلك قيل إن جوهر المنهج الاستقرائي هو الانتقال من الجزئيات إلى الكليات، أو من الخاص إلى العام عن طريق الملاحظة ودراسة الفروض والبراهين وإيجاد الأدلة . ينظر: الأصول المنهجية لإعداد البحوث العلمية، أحمد عبد الكريم سلامة، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٩، ص : ٣٤ ، وينظر الاستقراء والمنهج العلمي، د. محمود زيدان مؤسسة شباب الجامعة– الإسكندرية ١٩٨٠م، ص : ٦٢ ينظر: المنطق الحديث ومناهج البحث، د. محمود قاسم، ص(٥٤)، مكتبة الأنجلو المصرية، الرابعة، مصر، سنة ١٩٦٦

(٢) المنهج التحليلي يقوم الباحث من خلاله بالوقوف عند مفردات بحثه محللاً وواصفاً وكاشفاً عن جميع أجزائها "انظر مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، ط وكالة المطبوعات بالكويت، الثالثة ١٩٧٧م".

(٣) يعتمد المنهج النقدي إلى حد كبير على التدليل المنطقي للوصول إلى حلول ونتائج لمقدمات تم مناقشة جزيئاتها "انظر اصول البحث العلمي ومناهجه، أحمد بدر–ط وكالة المطبوعات، الكويت–السادسة ١٩٨٢م".

أما المباحث كالتالي :

المبحث الأول: البينة في السياق القرآني ويشتمل على المطالب الآتية :

المطلب الأول: تعريف البينة لغة واصطلاحًا – **المطلب الثاني:** صيغة كلمة البينة ومشتقاتها في القرآن الكريم

المطلب الثالث: مفردات قرآنية بمعنى البينة ،**المطلب الرابع:** أهمية البينة ،**المطلب الخامس:** (مكانة البينة)

المبحث الثاني: أنواع (البينة في القرآن الكريم) ومواضعها التي تُطلَب فيها ويشتمل على المطلبين التاليين :

المطلب الأول: أنواع البينة في القرآن ، **المطلب الثاني:** مواضع طلب البينة من خلال القرآن

المبحث الثالث: البينة من الله ورسله ويشتمل على المطلبين التاليين :

المطلب الأول: البينة من الله ، **المطلب الثاني:** البينة من الرسل

المبحث الرابع: معاندة البينة وقبولها ويشتمل على مطلبين كالآتي :

المطلب الأول: التكذيب بالبينة ، **المطلب الثاني: شروط البينة وسمات قابلي البينة ونتائج قبولها**

المبحث الخامس: البينة والإعجاز العلمي ويشتمل على المطلبين التاليين :

المطلب الأول: تعريف الإعجاز والمعجزة ، ،**المطلب الثاني:** الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

المبحث الأول
البينة في السياق القرآني
المطلب الأول
تعريف البينة لغة واصطلاحًا

أولًا: تعريف البينة لغةً:

والبينة هي الحجة والدليل، ومؤنث البيِّن، أي: الظاهر الواضح الفصيح، يقال: بان الشيء واستبان بياناً فهو بَيِّنٌ، أي: اتضح وظهر، وأبنت الشيء أوضحته، والتبين: التثبت في الأمر والتأني فيه(١).

والبيان ما يبين به الشيء من الدلالة وغيرها، وهو الإفصاح، مع ذكاء، أو هو إظهار المقصود بأبلغ لفظ(٢).

وجاء في التعاريف: [البينة: الدلالة الواضحة عقلية كانت أو حسية، ومنه سميت شهادة الشاهدين بيّنة، وقال الحرالي: البينة من القول والكون: ما لا ينازعه منازع لوضوحه، وقال بعضهم: البينة الدلالة الفاصلة بين القضية الصادقة والكاذبة، وقال بعضهم: البينة ما ظهر برهانه في الطبع والعلم والعقل، بحيث لا مندوحة عن شهود وجوده](٣).

ثانيًا: تعريف البينة اصطلاحًا:

هي الحجة الظاهرة الواضحة التي يتميز بها الحق من الباطل، وأصلها من البيان بمعنى الظهور والوضوح؛ لأن بها تتضح الأمور، أو من البينونة بمعنى الانفصال؛ لأن بها ينفصل الحق عن الباطل بعد التباسهما.

---

(١) ينظر: العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (٨/ ٣٨١)، (الطبعة: الأولى، دار الهجرة، إيران، ١٤٠٥ ه)، المحيط في اللغة، للصاحب إسماعيل بن عباد (١/ ٤٠٨)، (الطبعة: الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٤ م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (٥/ ٢٠٨٣)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (الطبعة: الرابعة، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م)، معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (١/ ٣٢٧، ٣٢٨)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، (الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩ه – ١٩٧٩م).

(٢) ينظر: البينة في الشريعة والقانون دراسة مقارنة، بحث مقدم لمرحلة الماجستير، د. محمد زكريا محمود صاري (ص ٣)، (جامعة بيروت الإسلامية، كلية الشريعة، ١٤٢٦ ه – ٢٠٠٦ م).

(٣) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي (١/ ١٥٤)، تحقيق: د. محمد رضوان، (الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٠ ه).

قال الواحديّ: [الحجة الظاهرة التي يتميز بها الحق من الباطل، فالنبي – صلى الله عليه وسلم– بيّنة(١)، وإقامة الشهادة العادلة بيّنة، وكل برهان بينة](٢).

وقال ابن القيم: [فالبينة اسم لكل ما يبين الحق ويظهره ومن خصها بالشاهدين، أو الأربعة، أو الشاهد لم يُوفِّ مسماها حقه. ولم تأت البينة قط في القرآن مرادًا بها الشاهدان وإنما أتت مرادًا بها الحجة والدليل والبرهان، مفردة ومجموعة، وكذلك قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "البينة على المدّعِي"(٣)، المراد به: أن عليه بيان ما يصحح دعواه ليحكم له، والشاهدان من البينة ولا ريب أن غيرها من أنواع البينة قد يكون أقوى منها، لدلالة الحال على صدق المدعي. فإنها أقوى من دلالة إخبار الشاهد، والبينة والدلالة والحجة والبرهان والآية والتبصرة والعلامة والأمارة: متقاربة في المعنى. والشارع لم يلغ القرائن والأمارات ودلالات الأحوال، بل من استقرأ الشرع في مصادره وموارده وجده شاهدا لها بالاعتبار، مرتبًا عليها الأحكام، ولا شك أن بعض القرائن أقوى بكثير من الشهادة؛ لأن الشهادة يمكن أن يتطرق إليها الوهم والكذب](٤).

ونستخلص من كلا التعريفين – اللغوي والاصطلاحي– أن كلمة البينة هنا مطلقة على المعنى العام الذي هو (الحجة والدليل والبرهان)؛ والتعميم في معنى البينة يجعلها تشمل جميع الطرق والوسائل المشروعة للإثبات المتفق عليها والمختلف فيها، وتكون البينة بهذا المعنى مرادفة للإثبات والدليل في معرفة الحق وتأكيد وجوده.

وبعد أن استعرضنا معنى البينة عند اللغويين وعند اصطلاح العلماء، ننتقل بتوفيق الله إلى المعاني التي وردت بها كلمة البينة في الذكر الحكيم. فقد تقرر وتكرر في القرآن الكريم إطلاق البينة في عدة موارد، فما هو المقصود بالبينة؟

لقد استعمل لفظ البينة في القرآن الكريم في عدة معان:

---

(١) جاء معنى هذا القول عن الثعالبي في الكشف والبيان (١٣/ ١٣٢).

(٢) ينظر: التفسير البسيط، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري الشافعي (ت: ٤٦٨ ه) (٣٤/ ٣٠٨)، تحقيق محمد بن صالح بن عبد الله الفوزان (جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٣٠ ه).

(٣) الترمذي، كتاب أبواب الأحكام، باب ما جاء في أن البينة على المدعي، واليمين على المدعى عليه (٣/ ٦١٨)، برقم (١٣٤١)، وقال: هذا حديث في إسناده مقال. ومحمد بن عبيد الله العرزمي يضعف في الحديث من قبل حفظه، ضعفه ابن المبارك، وغيره. وصححه الألباني.

(٤) ينظر: الطرق الحكمية، محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن قيم الجوزية) (ص ١١ – ١٢)، (مكتبة دار البيان).

١- المعنى الأول: البصيرة:

فالإنسان الذي على بصيرة من أمره، عارفًا طريقه، عارفًا أهدافه، عارفًا خاتمته، هذا الإنسان على بينة، أي على بصيرة، {قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ} [هود: ٢٨]، كما ذكر القرآن الكريم عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي} [يوسف: ١٠٨].

٢- المعنى الثاني: الحجة:

الحجة التي يحتج بها الإنسان أمام ربه، ويحتج بها الله على عباده، {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ} [الأنفال: ٤٢] ، بمعنى أن من مات، مات على حجة يحتج بها، ومن حيي هو حيي على حجة يحتج بها.

٣- المعنى الثالث: المعجزة:

فلقد استخدمت ويراد بها المعجزة، والآية: {قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً}(١)، يعني: ناقة صالح كانت بينة، يعني: معجزة، فالبينة هنا بمعنى المعجزة، {وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ}(٢)، يعني: المعجزات.

٤- المعنى الرابع: الوحي والنبوة:

فقد وردت وقصد بها معنى الوحي والنبوة، كما في هذه الآية المباركة {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ}(٣)، يقصد النبي -صلى الله عليه وسلم-، يعني: كان لديه وحي، كان لديه نبوة؛ فالمراد بالبينة هنا الوحي والنبوة.

فالجامع بين هذه المعاني الأربعة كلها: هو أن كل ما يوجب اليقين والوضوح يسمى بالبينة

هذا هو المعنى الجامع لعنوان ولمصاديق وأفراد البينة في القرآن الكريم، البينة يعني ما يوجب الوضوح واليقين والاطمئنان.

---

(١) سورة الأعراف، آية: (٧٣).

(٢) سورة البقرة، آية: (٧٨).

(٣) سورة هود، آية: (١٧).

المطلب الثاني

صيغة كلمة البينة ومشتقاتها في القرآن الكريم

– المقصود من هذا المطلب هو استقراء المواضع التي ذكرت فيها لفظة (البينة) وما اشتُق منها، ثم تحليل نماذج منها حسب ما يتطلبه البحث، واختيار النماذج لتحليلها جاء بناء على اختلاف معنى البينة، باختلاف السياقات القرآنية، فتارة تأتي في سياق بمعنى البصيرة، وتارة ثانية بمعنى الحجة التي يحتج بها الإنسان أمام ربه، وتارة ثالثة بمعنى المعجزة... وتارة رابعة بمعنى الوحي والنبوة.

وقبل الخوض في صلب هذا المطلب أحب أن ألفت النظر إلى بعض الأمور إذ إن كل ما يوصل إلى المراد فهو مراد، ومن هذه الأمور:

١– لفظة (البينة) من قبيل المشترك المعنوي:

ومعنى الاشتراك المعنوي، أي: لفظ يدل على معنى كلي عام واسع له ألفاظ كثيرة تدل عليه، فالمفردات متعددة لكنها متحدة في المعنى.

ولفظة (البينة) من هذا القبيل –الاشتراك المعنوي– إذ هي لفظة واحدة ولكن تدل على أكثر من معنى حسب السياق الذي تأتي فيه، وهذا يستلزم منا أن نشير إلى مفهوم السياق.

٢– مفهوم السياق القرآني:

أولًا: السياق القرآني علم عظيم المنزلة رفيع القدر، وهو من أهم ما يوصِّل للفهم الصحيح لكتاب الله تعالى؛ إذ هو الطريق إلى إثبات كون كلام الله متناسبًا منتظمًا، وهذا هو الأنسب لكتاب الله المعجز المحكم.

ومن هنا يمكن القول: إن السياق أصل من أصول التفسير التي يجب الاعتماد عليها في تفسير كتاب الله تعالى.

أثر السياق القرآني في الكشف عن المعاني:

يظهر أثر السياق جليًّا في الآيات التي يحتمل تفسيرها أكثر من معنى، وربما كان بعضها أقرب إلى الصواب من بعض، فيلزم والحالة هذه أن يتوجه المفسر إلى سياق الآية بغية استنطاقه؛ لأن السياق قوة تحرك التركيب فتبعث من إشعاعاته ما يلائم المعنى المقصود.

وبعد هذا العرض السريع نصل إلى المراد الحقيقي وهو: استقراء المواضع التي وردت فيها كلمة البينة ومشتقاتها، ثم بالتحليل لنموذجين منها.

وسنقوم –بإذن الله – بعرض كلام أوائل المفسرين من أهل السنة، ومناقشة كلامهم وفق الأسس العلمية المعروفة.

*** المواضع التي وردت فيها لفظ (البينة):**

الآية	الكلمة	اسم السورة	رقم الآية
لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ	البينة	البينة	١
وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ	البينة	البينة	٤

*** مواضع كلمة البينة في القرآن الكريم:**

الآية	الكلمة	اسم السورة	رقم الآية
{سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ..}	بينة	البقرة	٢١١
{قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي...}	بينة	الأنعام	٥٧
{فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ...}	بينة	الأنعام	١٥٧
{قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ...}	بينة	الأعراف	٧٣
{قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ...}	بينة	الأعراف	٨٥
{لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ}	بينة	الأنفال	٤٥
{أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ...}	بينة	هود	١٧
{يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي...}	بينة	هود	٢٨
{قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ...}	بينة	هود	٦٣
{قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي...}	بينة	هود	٨٨

{وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى...}	بينة	طه	١٣٣
{وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ...}	بينة	العنكبوت	٣٥
{أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ...}	بينة	محمد	١٤

٣- مواضع كلمة البينات في الذكر الحكيم

الآية	الكلمة	اسم السورة	رقم الآية
{وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ...}	البينات	البقرة	٨٧
{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى ...}	البينات	البقرة	١٥٩
{فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}	البينات	البقرة	٢٠٩
{وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ...}	البينات	البقرة	٢١٣
{مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ...}	البينات	البقرة	٢٥٣
{وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ...}	البينات	آل عمران	٨٦
{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}	البينات	آل عمران	١٠٥
{ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا}	البينات	النساء	١٥٣

{قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ...}	البينات	طه	٧٢
{قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ ....}	البينات	غافر	٦٦

النموذج الأول

البينة بمعنى البصيرة:

يقول تعالى: {قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ} [هود: ٢٨].

التحليل:

يقول (الطبري) في تفسير معنى (البينة) في هذه الآية: {إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ...} على علم ومعرفة وبيان من الله لي ما يلزمني له، ويجب عليَّ من إخلاص العبادة له، وترك الأوثان معه فيها...إلخ(١).

فالبينة عنده بمعنى البصيرة والمعرفة، كما قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي}[يوسف: ١٠٨].

ويقول (الواحدي) في بسيطه عن معنى (بينة) في هذه الآية: [... قال ابن عباس: يريد على يقين من ربوبية ربي وعظمته، وروي عنه: على بصيرة ومعرفة. وقال أهل المعاني: عني بالبينة ها هنا: البرهان من جهة المعجزة التي تشهد بصحة النبوة][٢]؛ نجد أيضًا الإمام الواحدي يفسر (البينة) على أنها بمعنى البصيرة والمعرفة.

ويقول الإمام القرطبي: "{أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي} أي على يقين، قاله أبو عمران الجوني، وقيل على معجزة"(٣).

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، المتوفى عام ٣١٠ه، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م (٥/١).

(٢) التفسير البسيط لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، المتوفى ٤٦٨ه، قام بتحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة محمد ين سعود، ط عمادة البحث العلمي (١١/ ٣٩٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي المتوفى ٦٧١ه، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية (٩/ ٢٥).

وقال في تفسيره آية الأنعام: {قَالَ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي}[الأنعام: ٥٧]: "أي: دلالة ويقين وحجة وبرهان، لا على هوى، ومنه البينة؛ لأنها تبين الحق وتظهره"(١).

النموذج الثاني

معنى البينة: الحجة والدليل:

قوله تعالى: {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ...} [الأنفال: ٤٢].

يقول الطبري في تفسيره: "ويعني بقوله: {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ} ليموت من مات من خلقه، عن حجة لله قد أثبتت له، وقطعت عذره، عبرة قد عاينها ورآها. {ويحيا من حيى عن بينة} يقول: وليعيش من عاش منهم عن حجة لله قد أثبتت له، وظهرت لعينه فعلمها، جمعنا بينكم وبين عدوكم هنالك"(٢).

ويقول الواحدي في تفسيره البسيط: [المعنى: ولكن فعل ذلك ليهلك، وأكثر أهل العلم على أن المراد بالهلاك ها هنا: الكفر والضلال وبالحياة: الاهتداء والإسلام](٣).

ثم قال: [وقال قتادة: ليضل من ضل عن بينة، ويهتدي من اهتدى عن بينة، قال الزجاج: جعل الله عز وجل المقاصد للحق بمنزلة الحي، وجعل الضال لمنزلة الهالك. وذهب آخرون إلى أن معنى الهلاك ها هنا الموت](٤).

---

(١) الجامع لأحاكم القرآن، للقرطبي (٦/ ٤٣٨).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، للإمام محمد بن جرير الطبري، المتوفى ٣١٠ه، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٣/ ٥٦٨).

(٣) التفسير البسيط، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، المتوفى ٤٦٨ه، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ط عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ه (١٠/ ١٧٠).

(٤) المصدر السابق (١٠/ ١٧١)، وانظر: تفسر ابن جرير (١٠/ ١٢) ومعاني القرآن للنحاس (٣/ ١٥٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ٧٠٨)، وبحر العلوم للسمرقندي (٢/ ١٩)، وتفسير ابن عطية (٦/ ٣٢١)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٣٢٨)، وقد ذهب ابن جرير إلى أن المعنى: ليموت من مات عن حجة، ويعيش من عاش عن حجة، كما ذكرت آنفًا. وانظر الماوردي (٢/ ٣٢٢)، وابن الجوزي (٣/ ٣٦٣) والبغوي (٣/ ٣٦٣).

قال الثعالبي: (... وأفعل ما فعلت يوم بدر ليكون موت من يموت على بينة رآها وحجة قامت عليه، وكذلك حياة من يحيى؛ لما سبق من وعده ببعثة الرسول قبل العذاب في قوله: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء: ١٥])(١).

ويقول الإمام القرطبي: "... والبينة: إقامة الحجة والبرهان أي: ليموت من يموت عن بينة رآها وعبرة عاينها، فقامت الحجة وكذلك حياة من يحيا..."(٢).

ويقول الإمام الآلوسيّ: "... والمراد بالبينة: الحجة الظاهرة، أي: ليموت من يموت عن حجة عاينها، ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها، فلا يبقى محل للتعليل بالأعذار، فإن وقعة بدر من الآيات الواضحة، والحجج الغر المحجلة، ويجوز أن يراد بالحياة: الإيمان، بالموت: الكفر استعارة أو مجاز مرسلًا، وبالبينة: إظهار كمال القدرة الدالة على الحجة الدافعة؛ أي: ليصدر كفر من كفر وإيمان من آمن عن وضوح بينة، وإلى هذا ذهب قتادة"(٣).

ويقول ابن عاشور: (... وذلك قد اشتمل على إهلاك المهزومين وإحياء المنصورين، حَفَّه من الأحوال الدالة على عناية الله بالمسلمين، وإهانته المشركين، ما فيه بينة للفريقين تقطع عذر الهالكين، وتقتضي شكر الأحياء) (٤).

ثم قال: (... ومن البعيد حمل ليهلك ويحيى على الحقيقة؟ لأنه وإن تحمله المعنى في قوله: {ليهلك من هلك} فلا يتحمله في قوله: {ويحيى من حيى} لأن حياة الأحياء ثابتة لهم من كقبل يوم دبر...) (٥).

---

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي، أبو إسحاق، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م (٦/ ٦٣)

(٢) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردولي، وإبراهيم أطفيين، ط دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٤م (٨/ ٢٢).

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمد بن عبد الله الحسيني الألوسي، المتوفى (١٢٧٠ه) تحقيق: عبد الباري عطية، ط دار الكتب العلمية، بيروت، (٥/ ٢٠٥).

(٤) انظر التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي المتوفى ١٣٩٣ه، ط الدار التونسية للنشر، تونس عام ١٩٨٤م، (١٠/ ٢٠).

(٥) نفس المصدر السابق، (١٠/ ٢١).

وعندما تأتي إلى (في ظلال القرآن) نجده قد أفاض واستفاض، ووضح وفصل وأبان: (والهلاك يعبر له عن مدلوله المباشر كما يعبر به عن الكفر. وكذلك الحياة فإنها قد تفيد مدلوله المباشر وقد يعبر بها عن الإيمان... وهذا المدلول الثاني أظهر هنا)(١).

ووجه ترجيح هذا المدلول هو أن يوم بدر كان يوم الفرقان، وقد فرق الله فيه بين الحق والباطل، ومن ثم فإن من يكفر بعدها، فإنما يكفر في غير شبهة يكفر عن بينة فيهلك عن بينة، ومن يؤمن بعدها فإنما يؤمن عن بينة واضحة تبرزها المعركة.

إن الموقعة تحمل بينة لا تجحد، وتدل دلالة لا تنكر، على تدبير وراء تدبير البشر...)(٢).

المطلب الثالث

مفردات قرآنية بمعنى البينة

الحديث في هذا المطلب يدور حول مفردات لغوية تأتي بمعنى البينة، من قبيل الاشتراك المعنوي، أي: معنى واحد له ألفاظ كثيرة، ومحط حديثنا هنا عن بعض من هذه الألفاظ التي تحتوي معنى على البينة.

أولًا: لفظة (الحجة):

– تعريفها: يقول ابن منظور: (والحجة: البرهان؛ وقيل: الحجة ما دوفع به الخصم؛ وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. وهو رجل محجاج أي جدل. والتحاج: التخاصم؛ وجمع الحجة: حجج وحجاج. وحاجه محاجة وحجاجا: نازعه الحجة. وحجه يحجه حجا: غلبه على حجته.

واحتج بالشيء: اتخذه حجة؛ قال الأزهري: إنما سميت حجة لأنها تحج أي تقتصد لأن القصد لها وإليها(٣).

يقول الله – عز وجل – (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) [النساء: ١٦٥]

(١) انظر: في ظلال القرآن للشيخ سيد قطب، ط دار الشروق، (٣/ ١٥٢٥ – ١٥٢٦).

(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة.

(٣) ينظر: لسان العرب للمؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١ه) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ ه (٣٢٨/٢).

يقول الطبري في تفسيره: (..."لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل"، يقول: أرسلت رسلي إلى عبادي مبشرين ومنذرين، لئلا يحتجّ من كفر بي وعبد الأنداد من دوني، أو ضل عن سبيلي بأن يقول إن أردتُ عقابه: (لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى) [سورة طه: ١٣٤] . فقطع حجة كلّ مبطل ألحدَ في توحيده وخالف أمره، بجميع معاني الحجج القاطعة عذرَه، إعذارًا منه بذلك إليهم، لتكون لله الحجة البالغة عليهم وعلى جميع خلقه (١).

ويقول الواحدي في بسيطه: (...وفي قوله: {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} دليل على أنه لو لم يبعث الرسل لكان للناس حجة في ترك الطاعة والتوحيد والمعرفة، وقد قال في آية أخرى: {وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا} [طه: ١٣٤]، فبين أنهم كانوا يحتجون بعدم الرسول لو لم يبعث إليهم(٢).

– ويقول **القاضي البيضاوي** في تفسيره: (...لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ فيقولوا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم، وفيه تنبيه على أن بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلى الناس ضرورة لقصور الكل عن إدراك جزيئات المصالح والأكثر عن إدراك كلياتها، واللام متعلقة بأرسلنا أو بقوله مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وحُجَّةٌ اسم كان وخبره لِلنَّاسِ أو عَلَى اللَّهِ والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لأنه مصدر وبعد ظرف لها أو صفة(٣)

ويقول سبحانه وتعالى: (قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ)[الأنعام: ١٤٩].

يقول الطبري في تفسيره: (القول في تأويل قوله: {قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ}:

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل، يا محمد، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام، القائلين على ربهم الكذبَ، في تحريمهم ما حرموا من الحروث والأنعام، إن عجزوا عن إقامة الحجة عند قيلك لهم: "هل عندكم من علم بما تدعون على ربكم فتخرجوه لنا"، وعن إخراج علم ذلك لك وإظهاره، وهم لا شك عن ذلك عَجَزَة، وعن إظهاره مقصرون، لأنه باطل لا حقيقة له (فَلِلَّه) ، الذي حرم عليكم

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (٤٠٨/٩).

(٢) ينظر:البسيط للواحدي (١٩٨/٧).

(٣) ينظر:تفسير البيضاوي (١٠٩/٢).

أن تشركوا به شيئًا، وأن تتبعوا خطوات الشيطان في أموالكم من الحروث والأنعام (الحجة البالغة) ، دونكم أيها المشركون.

ويعني ب"البالغة"، أنها تبلغ مراده في ثبوتها على مَنْ احتج بها عليه من خلقه، وقَطْعِ عُذْرِه إذا انتهت إليه فيما جُعِلت حجة فيه(١).

– ويقول الواحدي: (قوله تعالى: {قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ} قال الزجاج: (حجته البالغة تبيينه أنه الواحد، وإرساله الأنبياء بالحجج التي يعجز عنها المخلوقون أجمعون)(٢)، وهذا معنى قول المفسرين: لله الحجة البالغة بالكتاب والرسول والبيان)(٣).

– ويقول الإمام القرطبي: (قوله تعالى:" قل فلله الحجة البالغة" أي التي تقطع عذر المحجوج، وتزيل الشك عمن نظر فيها. فحجته البالغة على هذا تبيينه أنه الواحد، وإرساله الرسل والأنبياء، فبين التوحيد بالنظر في المخلوقات، وأيد الرسل بالمعجزات، ولزم أمره كل مكلف)(٤).

– ويقول **ابن** عاشور: (...والحجة: الأمر الذي يدل على صدق أحد في دعواه وعلى مصادفة المستدل وجه الحق)(٥).

ثانيا: لفظة (برهان):

– **تعريفها:** جاء في المصباح المنير: (والبرهان: الحجة وإيضاحها قيل النون زائدة وقيل أصلية وحكى الأزهري القولين فقال في باب الثلاثي النون زائدة وقولهم برهن فلان مولد والصواب أن يقال أبره إذا جاء بالبرهان كما قال ابن الأعرابي وقال في باب الرباعي برهن إذا أتى بحجته واقتصر الجوهري على كونها أصلية واقتصر الزمخشري على ما حكي عن ابن الأعرابي فقال البرهان الحجة من البرهرهة وهي

(١) ينظر:تفسير الطبري (٢١٢/١٢).

(٢) "معاني الزجاج" ٢/ ٣٠٣.

(٣) انظر:"تفسير الطبري"٨/ ٧٩، و"معاني النحاس" ٥١٤/٢، و"تفسير السمرقندي"٥٢٢/١، والبغوي٣/ ٢٠٢.

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١٢٨/٧).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (١٥٢/٨).

البيضاء من الجواري كما اشتق السلطان من السليط لإضاءته قال وأبره جاء بالبرهان وبرهن مولدة وبرهان وزان سكران اسم رجل وابن برهان من أصحابنا)(١).

* يقول الله تبارك وتعالى: (يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا)[النساء: ١٧٤].

يقول الإمام الطبري في تفسيره: (القول في تأويل قوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنزلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا}، قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله:"يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم"، يا أيها الناس من جميع أصناف الملل، يهودِها ونصاراها ومشركيها، الذين قص الله جل ثناؤه قَصَصهم في هذه السورة "قد جاءكم برهان من ربكم"، يقول: قد جاءتكم حجة من الله تبرهن لكم بُطُولَ ما أنتم عليه مقيمون من أديانكم ومللكم، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، الذي جعله الله عليكم حجة قطع بها عذركم، وأبلغ إليكم في المعذرة بإرساله إليكم، مع تعريفه إياكم صحة نبوته، وتحقيق رسالته"وأنزلنا إليكم نورًا مبينًا"، يقول: وأنزلنا إليكم معه"نورًا مبينًا"، يعني: يبين لكم المحجَّة الواضحة، والسبل الهادية إلى ما فيه لكم النجاة من عذاب الله وأليم عقابه، إن سلكتموها واسترتم بضوئه. وذلك "النور المبين"، هو القرآن الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم)(٢).

– ويقول **الواحدي:** (قال ابن عباس: "يريد يا أهل مكة وجميع الخلق. ويريد بالبرهان النبي – صلى الله عليه وسلم – وما جاء به من البيان والبرهان". هذا كلامه، وإنما قيل للنبي – صلى الله عليه وسلم – برهان؛ لما معه من المعجزة التي تشهد بصدقه، والبرهان شاهد حق في نفسه، وذلك يوجب أن يكون المشهود به حقًا، فالنبي – صلى الله عليه وسلم – حق في نفسه بدلالة المعجزة عليه)(٣).

---

(١) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للمؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) الناشر: المكتبة العلمية – بيروت (٤٦/١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٤٢٨/٩).

(٣) انظر: تفسير البسيط للواحدي: (٢٠٩/٧).

ويقول **ابن** عاشور: (والبرهان: الحجة، وقد يخصص بالحجة الواضحة الفاصلة، وهو غالب ما يقصد به في القرآن، ولهذا سمى حكماء الإسلام أجل أنواع الدليل، برهانا)(١).

المطلب الرابع
أهمية البينة

يدور حديثنا في هذا المطلب نحو أهمية البينة وما الحاجة إليها، وهل الإنسان يحتاج إلى بينة، أو يمكن أن يحيا بلا بينة؟

سبق أن ذكر الباحث معنى البينة في القرآن الكريم، حيث إنها لم تأت على معنى واحد فقط، بل هي من قبل الألفاظ القرآنية التي ترادفت مبانيها وتنوعت معانيها، فقد استعملت لفظة البينة في القرآن الكريم في عدة معان، وقد سبق أن تكلمت عنها وهي: (البصيرة – الحجة – المعجزة – الوحي)، والجامع بين هذه المعاني الأربعة كلها: أن البينة ما يوجب اليقين، كل أمر يوجب اليقين فهو بينة، البينة هي الشيء الذي يوجب اليقين، ويوجب الوضوح يسمى بالبينة.

هذا هو المعنى الجامع لعنوان ولمصاريف وأفراد البينة في القرآن الكريم البينة يعني ما يوجب الوضوح واليقين ولاطمئنان...

من هذا المنطلق: تكمن الحاجة إلى البينة في جهتين:

١– الجهة الأولى: جهة الاطمئنان:

الإنسان يحتاج إلى البينة؛ لأنه يحتاج إلى الاطمئنان، والاستقرار، فالبينة والوضوح يساوي الاطمئنان والاستقرار ، ولذلك ورد في القرآن الكريم: { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ } [الأنعام: ١٢٥].

– فالمراد بضيق الصدر ليس هو الاختناق، المراد به: أن الإنسان يعيش في قلق وحيرة وشكوك لا نهاية لها ... ولذلك ورد في الحديث الشريف: «إذا ضاقت بكم الصدور فعليكم بزيارة القبور».

فالمراد بالضيق هنا: الشكوك والحيرة، فإذا كنت تعيش شكوكًا في الحياة فاذهب إلى هذه المنطقة، ستوقن بالمصير، ستوقن بالنهاية.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٦٢/٦).

فالإنسان الذي يعيش على (بينة) يعيش في استقرار واطمئنان { أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } [الرعد: ٢٨].

هذه هي الحاجة الأولى لتحصيل البينة(١).

٢- الجهة الثانية: الهدفيّة:

الإنسان الذي يؤمن بدين، يمتلك فلسفة للحياة، ، ومن يمتلك عقيدة، يمتلك بينة، يمتلك فلسفة للحياة { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} [المؤمنون: ١١٥]. أما من لا يمتلك ديناً فهو يعيش فلسفة ناقصة للحياة...أما من يمتلك بينة{ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ} [هود: ١١٧]. من يمتلك بينة يمتلك فلسفة لحياة، يمتلك هدفية للحياة، يقول: لا يوجد شيء بلا هدف، وإن لم يكن الهدف في هذه الفترة القصيرة، فالهدف سيتحقق جزمًا في الفترة الأخرى، وفي المسار الطويل وفي الحياة الخالدة.

إذًا: أنا إنسان صادق، لا شيء أتوق لحياة أخرى، ولعوض في حياة أخرى {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: ١٠]. { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا * كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا } [الإسراء: ١٨ - ٢٠]، { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ } [الزلزلة: ٧].

* إذن: البينة تعني الهدفيّة ، الحاجة إلى البينة تعني الحاجة إلى الهدفيّة ، أن أمتلك هدفيّة لكل شيء في الحياة وأن أمتلك فلسفة متكاملة لهذه الحياة كلها، فلا يبقى فعل وإلا له هدف وله فلسفة تعين على معرفة مبدئه وخاتمته، هنا تكمن الحاجة إلى البينة(٢).

المطلب الخامس

(مكانة البينة)

- للبينة مكانة كبيرة في دين الإسلام العظيم، فما قام الإسلام إلا على بينة، وما جاء إلا بالحجج والبراهين وما جاء الإسلام إلا بالبصائر والمعجزات.

إن من مبادئ الإسلام العظيم هو عدم الإكراه، في دخول دين الإسلام { أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ } [هود: ٢٨]

---

(١) ينظر: مقال (أهمية البينة في سلوك المؤمن) شبكة المنير ١٦/ ٧/ ٢٠١١م بتصرف.

(٢) ينظر: أهمية البينة في سلوك المؤمن.

– ولما كان الأساس في الإسلام هو عدم الإكراه في كل شيء حتى في أعظم شيء وهو الإيمان{فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ} [الكهف: ٢٩].

لما كان ذلك كذلك، كانت البينات والمعجزات، والبصائر والحجج، وهذا أقوى دليل على أن الإسلام لم يدعو أبدًا إلى الإكراه، ولم ينتشر الإسلام بالسيف.. إذ لو كان انتشار الإسلام بالقوة والقهر لما احتاج إلى تكلم البينات، و الحجج والمعجزات.

فالإسلام دين العدل، ودين الحرية، لا دين ظلم، ولا فساد ولا قتل واغتصاب.

* فمكانة البينة إذًا تكمن في أشياء كثيرة:

١– البينة المعجزة التي يؤيد الله بها صدق رسالاته، والحجج القاطعة التي تقطع ريب كل ظالم وفاسد، فالبينة هي أهم شيء في باب النبوات فيها تقام الحجة على الناس ويتبين المرسل من الداعي الكذاب، وما كان للمشركين والكافرين أن ينفكوا عن كفرهم إلى الإيمان إلا بالبينة الواضحة، والحجة القاطعة، والبرهان الساطع، قال تعالى: { لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ....} [البينة: ١].

٢– كما أنها معجزة وبرهان ودليل من الله (صدق رسالاته وأنبيائه) ورد كل ريبة وشك.

فكذلك هي حجة على البشر، يحتج الله بها على عباه: {ليهلك من هلك عن بينة، ويحيي من حيى عن بينة} [الأنفال: ٤٣] فمن مات فقد مات على حجة يحتج بها، ومن حيى هو حي على حجة يحتج بها أمام ربه.

٣– تحمل معنى الحرية وعدم الإكراه والقهر، فما هي إلا أنها لتقنع البشرية وتبصرهم إلى طريق الحق والصواب وإلى طريق مستقيم، إذ أنها ضد الإكراه، فالبينة دليل إقناع، وحجة متعدية، حجة على الكافة.

٤– يكفيها شرفًا أنها بمعنى النبوة والوحي، البينات صفات الكلمات، والبرهان وليد اللسان، ولكن سبحان الله ماأروع هذا البيان! أن يعبر بالذات عن السمات، وهذا التعبير حق صارح، وصوت مارح؛ لأن الذات إذا استمكنت الأوصاف أخذت من هذه الألطاف، فتتحول الأعراض إلى جواهر، والمواضي حواضر، كيف لا وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو البينة والبرهان، والحجة والنور المستبان؟!

المبحث الثاني
أنواع (البينة في القرآن الكريم) ومواضعها التي تُطلَب فيها
المطلب الأول
أنواع البينة في القرآن

بداية:

وردت (البينة) في القرآن الكريم على عدة معان، أسلفنا القول في ذكرها.. وهي: [البصيرة – الحجة والدليل – المعجزة – الوحي والنبوة].

يقول **ابن القيم** – رحمه الله – (ولم تأت البينة قط في القرآن مرادا بها الشاهدان وإنما أتت مرادا بها الحجة والدليل والبرهان، مفردة مجموعة وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: {البينة على المدعي} المراد به: أن عليه بيان ما يصحح دعواه ليحكم له، والشاهدان من البينة ولا ريب أن غيرها من أنواع البينة قد يكون أقوى منها، لدلالة الحال على صدق المدعي.

فإنها أقوى من دلالة إخبار الشاهد، والبينة والدلالة والحجة والبرهان والآية والتبصرة والعلامة والأمارة: متقاربة في المعنى) (١).

يقول عز وجل في كتابه العزيز:

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى **بَيِّنَةٍ** مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [هود: ١٧].

– يقول **الواحدي** في بسيطه: (قوله تعالى: {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ}، يعني بهذا النبي – صلى الله عليه وسلم – في قول عامة المفسرين (٢)، وأما البينة فقال ابن عباس(٣) في قوله {عَلَى بَيِّنَةٍ}: يريد على يقين، وقال الكلبي (٤): البينة هاهنا الدين، وقال مقاتل ابن سليمان (٥): البينة البيان، وقيل (٦): يعني بها القرآن.

---

(١) ينظر: الطرق الحكمية، لابن القيم. ط/ دار البيان. ص٥.

(٢) الثعلبي ٧/ ٣٦ أ، الطبري ١٢/ ١٤ – ١٥، "الدر المنثور" ٣/ ٥٨٦، "المحرر الوجيز" ٧/ ٢٥٧، "زاد المسير" ٤/ ٨٥.

(٣) انظر: "تفسير كتاب الله العزيز" ٢/ ٢١٨، "البحر" ٥/ ٢٠١.

(٤) "زاد المسير" ٤/ ٨٥.

(٥) "زاد المسير" ٤/ ٨٥، "تفسير مقاتل" ١٤٤ ب.

(٦) ذكره ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠١٣ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

– **ويقول تبارك وتعالى:** ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

قال محمد بن إسحاق: ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه وقطعت عذره، ويؤمن من آمن على مثل ذلك (١)، وقال قتادة: ليضل من ضل عن بينة، ويهتدي من اهتدى على بينة (٢)، قال الزجاج: جعل الله عز وجل المقاصد للحق بمنزلة الحي، وجعل الضال بمنزلة الهالك (٣).

– **ويقول المولى جل وعلا:** ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ [الأعراف: ٧٣].

– يقول الطبري – رحمه الله – ((قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)، يقول: قال صالح لثمود: يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له، فما لكم إله يجوزُ لكم أن تعبدوه غيره، وقد جاءتكم حُجَّة وبرهان على صدق ما أقول، وحقيقة ما إليه أدعو، من إخلاص التوحيد لله، وإفراده بالعبادة دون ما سواه، وتصديقي على أني له رسول. وبيِّنتي على ما أقول وحقيقة ما جئتكم به من عند ربي، وحجتي عليه، هذه الناقة التي أخرجها الله من هذه الهَضْبة، دليلا على نبوّتي وصدق مقالتي، فقد علمتم أن ذلك من المعجزات التي لا يقدر على مثلها أحدٌ إلا الله (٤).

هذه كل المعاني التي وردت عليها مفهوم البينة في القرآن الكريم.

والجامع بين هذه المعاني الأربعة كلها أنّ البيّنة ما يوجب اليقينَ، كلّ أمر يوجب اليقينَ فهو بيّنة، البيّنة هي الشيء الذي يوجب اليقينَ ويوجب الوضوحَ، يسمّى بالبيّنة، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ هذا هو المعنى الجامع لعنوان ولمصاديق وأفراد البيّنة في القرآن الكريم، البيّنة يعني ما يوجب الوضوحَ واليقينَ والاطمئنانَ.

(١) "السيرة النبوية" ٢/ ٣١٩ مع اختلاف يسير.

(٢) رواه الثعلبي ٦/ ٦٣ ب، والبغوي ٣/ ٣٦٣.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" ٢/ ٤١٨.

(٤) ينظر: "جامع البيان في تأويل القرآن" للإمام الطبري (٥٢٥/١٢).

المطلب الثاني
مواضع طلب البينة من خلال القرآن

أولًا:

ما من نبي إلا وقد آتاه الله تعالى بينة تدل على صدق ما جاء به، يقيم بها الحجة على كل من خالفه.

رُوي عن **أبي هريرة**، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وما فيما كان الذي أوتيت وحيًا أوحى الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم ... يوم القيامة»(١).

قال الحافظ بن حجر – رحمه الله –: قوله: «ما من الأنبياء من نبي إلا أعطي...»: هذا دال على أن النبي لا بد له من معجزة (بينة) تقتضي إيمان من شاهدها بصدقه، ولا يضره من أصر على المعاندة(٢).

والمعنى: أن كل نبي أعطي آية أو أكثر، من شأن من يشاهدها من البشر أن يؤمن به لأجلها، والمراد بالآيات: البينات المعجزات، فكل نبي أعطي معجزة خاصة به، لم يعطها بعينها غيره، تحدى بها قومه، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه.

ويقول ابن كثير: (والمعنى: أن كل نبي أوتي من خوارق المعجزات ما يقتضي إيمان من رأى ذلك من أولي البصائر والنهي، لا من أهل العناد والشقاء...)(٣).

ثانيًا:

سنستعرض بعض المواضع التي تدل على طلب الأقوام البينة من رسل الله عليهم السلام:

١- قال تعالى: **{قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ}** [هود: ٥٣].

يقول الإمام **الطبري**: (قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال قوم هود لهود، يا هود ما أتيتنا ببيان ولا برهان على ما تقول، فنسلم لك، ونقر بأنك صادق فيما تدعونا إليه من توحيد الله والإقرار بنبوتك)(٤).

---

(١) ينظر: صحيح مسلم، باب وجوب الإيمان بالرسالة (١/ ١٣٤).

(٢) ينظر: "فتح الباري" لابن حجر العسقلاني (٩/ ٦).

(٣) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، باب البينة على ذكر معجزات لرسول الله صلى الله عليه وسلم (٦/ ٢٨٨).

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، مؤسسة الرسالة (١٥/ ٣٦٠).

– ويقول **ابن كثير**:(...{**مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ**} أي: بحجة ولا دلالة ولا برهان على ما تدعيه...)(١).

– ويقول **أبو السعود**: (... أي: بحجة تدل على صحة دعواك، وإنما قالوا لفرط عنادهم، وعدم اعتدادهم بما جاءهم من البينات الفائتة للحصر...) (٢).

– ويقول **الشوكاني**: (... {**قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ**} أي: بحجة واضحة نعمل عليها، ونؤمن لك بها غير معترفين بما جاءهم به من حجج الله وبراهينه عنادًا وبعدًا عن الحق...) (٣).

وعندما نأتي إلى الطيب العلامة **ابن عاشور**، نجده قد فصل القول في هذا الموضع، يقول:

(... محاورة منهم لهود عليه السلام – بجواب عن دعوته، ولذلك جردت الجملة من العاطف، وافتتاح كلامهم بالنداء يشير إلى الاهتمام بما سيقولونه، وأنه جدير بأن يتنبه له؛ لأنهم نزلوه منزلة البعيد لغفلته فنادوه، فهو مستعمل في معناه الكنائي أيضًا، وقد يكون مرادًا منه مع ذلك توبيخه ولومه، فيكون كناية، أو استعمال النداء في حقيقته ومجازه).

وقولهم: {**مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ**} بهتان؛ لأنه أتاهم بمعجزات لقوله تعالى: {**وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ**} [هود: ٥٩] وإن كان القرآن لم يذكر آية معينة لهود عليه السلام وعل آيته أنه وعهم عند بعثته بوفرة الأرزاق والأولاد وإطراد الخصب وفرة مطردة لا تنالهم في خلالها نكبة ولا مصيبة، بحيث كانت حارقة لمادة النعمة في الأمم، كما يشير إليه قوله تعالى: {**وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً**}[فصلت: ١٥]، وفي الحديث الصحيح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من الأنبياء نبي إلا أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر» وإنما أرادوا أن البينات التي جاءهم بها هود عليه السلام لم تكن طبقًا لمقترحاتهم، وجعلوا ذلك علة لتصميمهم على عبادة آلهتهم، فقالوا: {**وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي**

(١) انظر: تفسير القرن العظيم لابن كثير (ت/ ٧٧٤ه) ط دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/ ٣٢٩).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (ت: ٩٨٢ه) ط دار إحياء التراث العربي – بيروت (٤/ ٢١٧).

(٣) ينظر: فتح القدير للإمام الشوكاني (ت: ١٢٥٠ه) ط دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت، (٥٧٣/٢).

آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ}ولم يجعلوا {**وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي**} مفرعًا على قولهم:{ما جئتنا ببينة...}(١).

* فالظاهر من هذه الآية المباركة هو اعتراض قوم سيدنا هود عليه، ويطلبون منه أن يأتي ببينة {ما جئتنا ببينة}.

فهل معنى قولهم: {ما جئتنا ببينة} أن نبي الله هود عليه السلام لم يأتهم ببينة قط؟ ولم يحكي القرآن بينة هود، وكذلك شعيب حتى (بينة) سيدنا نوح كانت الطوفان، فكيف ذلك والطوفان حصل بعد تكذيبهم، والمعروف أن البينة تأتي مع النبي حتى يصدقه الناس؟ فكيف نرد على كل هذه التساؤلات؟

نقول وبالله التوفيق:

لا يلزم أن ينصّ القرآن أو السنة على معجزة كل نبي، فهذه المعجزة لم تأت إلينا نحن، ولا يترتب على معرفتنا بها عمل، ولسنا مطالبين بالإيمان بالأنبياء الصادقين لأجل معجزاتهم؛ فإنها مضت معهم، وانقضى زمانها، وإنما نؤمن بالأنبياء السابقين؛ لأجل الخبر الصادق في كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم عنهم.

والذي يعنينا أن نعلم أن نبي الله هودًا ونوحًا، وشعيبًا، وغيرهم من أنبياء الله: قد أرسلوا إلى أقوامهم، وأنهم أتوهم بالحجج والبينات الكافية لتصديقهم، والإيمان بهم، قد نعلم ببعض آياتهم، وقد لا نعلم بها، كما أننا نعلم من أسماء الأنبياء وأحوالهم، ما أتانا به الخبر الصادق، ونجهل كذلك من أسماء أنبياء الله وسيرهم، ما لم يخبرنا به الوحي الصادق.

قال الزجاج –رحمه الله–:

قوله: {**قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ**} قال بعض النحويين: لم يكن لشعيب آية إلا النبوة، وهذا غلط فاحش قال: {**قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ**} فجاء بالفاء جوابًا للجزاء، فكيف يقول: {**قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ**} ولم يكن له آية إلا النبوة؟ فإن كان مع النبوة آية فقد جاءهم بها.

وقد أخطأ القائل بقوله: لم تكن له آية، ولو ادعى مدعٍ النبوة بغير آية لم تقبل منه، ولكن القول في شعيب أن آيته كما قال بينة، إلا أن الله جل ثناؤه ذكر بعض آيات الأنبياء في القرآن، وبعضهم لم يذكر آيته، فمن لم تذكر آيته لا يقال: لا آية له(٢).

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣ه) (١٢/ ٩٧ – ٩٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج (ت: ٣١١ه) ط عالم الكتب بيروت، (٢/ ٣٥٣، ٣٥٤).

ثم إن **(بينة)** نبي الله نوح صنع السفينة على اليابسة، ثم سيرها فوق هذه الأمواج التي كانت كالجبال، وقد كان أنذر قومه الطوفان.

قال **ابن كثير** رحمه الله:

(وهي مشابهة لمعجزة نوح عليه السلام في مسيره فوق الماء بالسفينة التي أمره الله تعالى بعملها) (١).

ولا يعترض على ذلك بما يقوله السائل أن الطوفان حصل بعد تكذيبهم والمعجزة تأتي مع النبي حتى يصدقه الناس؛ لأنه يقال في جوابه: إنه صلى الله عليه وسلم قد حذرهم وأنذرهم وتوعدهم فلما جاءهم ما يوعدون أصروا واستكبروا ولم يؤمنوا، ولو أنهم آمنوا ساعتئذ لصح إيمانهم، ألا ترى إلى مناشدة نوح عليه السلام ابنهن وقوله له: **{يَابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ}**[هود: ٤٢] فلو أنه ركب معهم لكان من المؤمنين ولم يكن من الكافرين، وكذلك غيره، فالمعجزة حاصلة في وقتها، ول تحصل بعد أوانها.

ثم إنه كان من أعظم آياته وبيناته التي آتاه الله إياها: بيانه الواضع، وحجاجه الصحيح لهم، كما في قوله تعالى: **{قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ * وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ }** [هود: ٢٨ – ٣٢]. وقد تكرر خبر حجاجه لهم في غير سورة من سور القرآن الكريم(٢).

على أن ذلك كله لا يمنع أن يكون قد آتاهم بآية بينة، لم نقف على خبرها، وكنهها، كما سبق.

ومثل هذا يقال أيضًا في نبي الله هود، ونبي الله شعيب، عليهما السلام، فإما أن تكون لكل منهما معجزة لم نطلع نحن عليها، ولم يخبرنا الله بها، كما سبق في كلام الزجاج،

---

(١) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٣١٧).

(٢) ينظر: مقالة: (الكلام على معجزات الرسل وآيات الله التي أبدهم بها) للشيخ محمد صالح المنجد.

وإما أن تكون معجزته في حجاجه لقومه، ومخاصمته لهم، وظهوره عليهم بالحكمة، وعظيم البينات(١).

قال ابن أبي العز الحنفي –رحمه الله– :

من أخفى آيات الرسل آيات هود، حتى قال له قومه: {يا هود ما جئتنا ببينة} ومع هذا فبينته من أوضح البينات لمن وفقه الله لتدبرها، وقد أشار إليه بقوله: {**إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**) [هود: ٥٤ – ٥٦]. فهذا من أعظم الآيات: أن رجلًا واحدًا يخاطب أمة عظيمة بهذا الخطاب، غير جزع ولا فزع ولا خوار، بل هو واثق بما قاله، جازم به، فأشهد الله أولًا على براءته من دينهم، وما هم عليه، إشهاد واثق به معتمد عليه، معلم لقومه أنه وليه وناصره، وغير مسلط لهم عليه.

ثم أشهدهم إشهاد مجاهر لهم بالمخالفة: أنه بريء من دينهم وآلهتهم التي يوالون عليها، ويبذلون دماءهم وأموالهم في نصرتهم لها، ثم أكد ذلك عليهم بالاستهانة بهم، واحتقارهم وازدرائهم، ولو يجتمعون كلهم على كيده، وشفاء غيظهم منه، ثم يعاجلونه ولا يمهلونه: لم يقدروا على ذلك إلا ما كتبه الله عليه.

ثم قرر دعوتهم أحسن تقرير وبين أن ربه تعالى وربهم الذي نواصيهم بيده هو وليه ووكيله القائم بنصره وتأييده، وأنه على طراط مستقيم، فلا يخذل من توكل عليه وأقر به، ولا يشمت به أعدائه.

فأي آية وبرهان أحسن من آيات الأنبياء وبراهينهم وأدلتهم؟ وهي شهادة من الله سبحانه بينها لعباده غاية البيان(٢).

وقال القاسمي –رحمه الله– في قول شعيب عليه السلام: {قد جاءتكم بينة من ربكم}: (... (قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ) أي: ما يتبين به الحق من الباطل، يعني: دعوته وإرشاده، ومن هنا قال بعضهم: يعني بالبينة مجيء شعيب، وأنه لم تكن له آية إلا النبوة).

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) ينظر: مختصر الطحاوية، ص٤٧.

ومن فسر البينة بالحجة والبرهان، والمعجزة، المحسوسة، ذهابًا إلى أن النبي لما كان يدعو إلى شرع يوجب قبوله، فلا بد من دليل يعلم صدقه به، وما ذاك إلا المعجزة، قال: وإن معجزة شعيب لم تذكر في القرآن، وليست كل آيات الأنبياء مذكورة في القرآن.

ولا يخفى أن البينة: أعم من المعجزة بعرفهم، فكل من أبطلت شبهة ضلاله وأظهرت له حجة الحق الذي يدعى إليه، فقد جاءته البينة؛ لأن حقيقة البينة: كل ما يبين الحق فاحفظه(١).

(١) انظر: تفسير القاسمي (٥/ ١٤٦).

المبحث الثالث

البينة من الله ورسله

تمهيد

هذا المبحث دقيق في فهمه، خفي في معناه، يدور حوله تساؤلات!! ما معنى البينة من الله؟ وما معنى البينة من الرسل؟ وهل هناك فرق بينهما؟ وكيف تنسب البينة للرسل؟ كل هذه تساؤلات تحتاج إلى إبانة وتفصيل في معناها... وفي هذا التمهيد سأوضح كل هذه التساؤلات...

بداية: إن لفظة (البينة) في الذكر الحكيم تدور حول معاني عدة، كما سبق الحديث عنها بالتفصيل.. والذي يعنينا هنا من هذه المعاني هي [الحجة والبرهان – والمعجزة] وعندما نظر الباحث وتأمل، وجد أن المعنيين هذين يصب بعضهما في بعض، إذ إن المعجزة تكون حجة للأنبياء على قومهم، وبرهان لصدق رسالاتهم، كما أن الحجة لا تكون إلا شيئا قويا يصح أن يحتج به، وإذا نظرنا إلى المعجزة نجدها أقوى وأبرز وأثبت في إثبات وترسيخ الرسالات السماوية... ويصل الباحث من كل هذا إلى أن الأصل في البينات أنها لا تنصرف إلا لله –عز وجل– فالحجج والبراهين والمعجزات كلها وسائل تؤيد ما جاء به الأنبياء والرسل، وتكون حجة عليهم يوم العرض والحساب.

وإذا بسطنا الأمر وجدنا، أن هناك **بينات** حكاها القرآن تنسب إلى الله –عز وجل– بدون أيّ تدخل من البشر فيها، كالظواهر الكونية، ومخلوقات الله عز وجل.. كقوله –تعالى–:

١– قال الله: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاْءِ وَهِيَ دُخَانٌ)[فصلت : ١١].

٢– (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ أَنَّ السَّمَوَاْتِ وَالأَرْضَ كَانَتَاْ رَتْقاً فَفَتَقْنَاْهُمَاْ) [الأنبياء: ٣].

٣– (وَجَعَلْنَاْ مِنَ المَاْءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاْ يُؤْمِنُوْنَ) [الأنبياء:٣٠]

٤– (وَالسَّمَاْءَ بَنَيْنَاْهَاْ بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوْسِعُوْنَ) [الذاريات: ٤٧].

٥– (وَالشَّمْسُ تَجْرِيْ لِمُسْتَقَرٍّ لَهَاْ ذَلِكَ تَقْدِيْرُ الْعَزِيْزِ الْعَلِيْمِ) [يس: ٣٨].

٦– (وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَاْ يَصَّعَّدُ فِيْ السَّمَاْءِ) [الأنعام: ١٢٥].

٧– (وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَاْرَ فَإِذَاْ هُمْ مُظْلِمُوْنَ) [يس: ٣٧].

٨- (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ) [الملك: ٥].
٩- (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا) [الأنبياء: ٣٢].
١٠- (وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا) [النبأ : ٧].
١١- (وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) [لقمان : ١٠].
١٢- (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) [النمل : ٨٨].
١٣- (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ*بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَ يَبْغِيَانِ) [الرحمن: ١٩-٢٠].
١٤- (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ) [سورة الحجر: ٢٢].
١٥- (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) [النساء: ٥٦].
إلى غير ذلك من آيات كثيرة ...
وكذلك الأمر وجدنا بينات تنسب للرسل من قِبَل الله – عز وجل – نحو:
١- معجزة سيدنا صالح عليه السلام:
طلب قوم صالح عليه السلام منه دليلاً على صدق رسالته، ولبى الله تعالى نداءه، فأرسل إليه ناقة ضخمة خرجت من بين الصخور، فآمن البعض منهم، وبقي الأغلب على كفرهم، واتفق الكفار على قتل الناقة، وقاموا بذلك، فأبادهم الله تعالى عن وجه الأرض عقاباً لما فعلوه.
٢- معجزة سيدنا إبراهيم عليه السلام:
حطم إبراهيم عليه السلام الأصنام التي كان قومه يعبدونها، وعندما عرف قومه بذلك أشعلوا ناراً وألقوه بها، إلا أنّ النار لم تحرقه بأمر من الله تعالى، فكانت برداً وسلاماً عليه، قال تعالى: (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) [الأنبياء: ٦٨-٦٩].
٣- معجزة سيدنا موسى عليه السلام:
من مُعجزات موسى عليه السلام العصا، حيث انتصر بها على سحرة فرعون، وأخرج الماء من الحجر، وتحول البحر إلى أرض يابسة بإذن الله.
٤- معجزة سيدنا عيسى عليه السلام:

من مُعجزات عيسى عليه السلام مُداواته للأبرص، والأعمى، وإحياؤه الموتى، وعمل تماثيل للطيور من الطين، ثمّ النفخ بها لتُصبح طائرًا حقيقيًّا بأمر من الله تعالى، ونزول مائدة من السماء.

٥- معجزة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

من أعظم المعجزات مُعجزة القرآن الكريم، وهو كلام الله تعالى، ومُعجزته الخالدة لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وقد تحدى الله قريشاً بأن يأتوا بآية مثله وهم أهل الفصاحة والبلاغة فعجزوا عن ذلك، ومن مُعجزات نبينا أيضاً انشقاق القمر، والإسراء والمعراج، وشعور جذع النخلة بالحنين إليه، فقد كان رسول الله يخطب بالناس، وهو مُستنِد إلى جذع نخلة، وعندما صنع له الصحابة منبراً ترك الجذع، ثمّ وقف ليخطب من على المنبر، عندها سمع الصحابة صوتاً شبيه بصوت الناقة، فعلم الرسول بحزن الجذع على فراقه، ثمّ جاء ووضع يده عليه إلى أن هدأ وسكن.

معجزات أخرى:

- معجزة سيدنا يوسف عليه السلام: تتمثل معجزة سيدنا يوسف في الرؤيا المُحققة، وتفسير الأحلام.
- معجزة سيدنا إسماعيل عليه السلام: خروج ماء زمزم، ونزول الكبش العظيم.
- معجزة سيدنا داوود عليه السلام: إلانة الحديد، ومعرفة منطق الطيور.
- معجزة سيدنا سليمان عليه السلام: الكلام مع الحيوانات وفهم منطق الطير.

المطلب الأول

البينة من الله

البينة من الله كما سبق -آنفًا- هي الآيات والمعجزات التي لا دخل للأنبياء والرسل فيها، وقد سبق ذكر الشواهد عنها، وسأتحدث هنا عن بعض منها، مشيرًا إلى تأثير هذه البينة على قلوب الكافرين.

أولا:

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]

جاءت هذه الآية تخبر عن أن السماء قد بنيت بناءً محكمًا وبقوة، وقد أشار إلى ذلك البناء المحكم آيات أخرى، كقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء﴾ [البقرة: ٢٢]. وقوله -تعالى-: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاء

بِنَاء﴾[غافر: ٦٤]. وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾[ق: ٦]. وقوله تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً﴾[النبأ: ١٢]. وقوله تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا﴾[النازعات: ٢٧]. وقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا﴾[الشمس: ٥].

قال **الشوكاني:** "وأصل البناء: وضع لبنة على أخرى"(١)، وإننا نجد أن المفسرين قد أشاروا إلى هذا البناء اعتماداً على النص القرآني، يقول ابن جرير الطبري: "فبناء السماء على الأرض كهيئة القبة وهي سقف على الأرض"(٢)، ويقول في آية أخرى: "﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾ فسويناها سقفاً محفوظاً وزيناها بالنجوم، ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ يعني: وما لها من صدوع وفتوق"(٣).

وقال **القرطبي:** "﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ جمع فرج وهو الشق، وقال **الكسائي:** ليس فيها تفاوت ولا اختلاف ولا فتوق"(٤)، ويقول **النيسابوري:** "وفي لفظ البناء إشارة إلى كونها محكمة البنيان"(٥)، وقال **ابن عادل** في تفسيره: "والسماء كالبناء المبنيّ الثابت كما أشار إليه بقوله: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً﴾ [النبأ: ١٢]"(٦).

والسماء في اللغة هي كل ما ارتفع وعلا، قال صاحب اللسان: "وقال الزجاج السماءُ في اللغة يقال لكلّ ما ارتَفع وعَلا قَدْ سَما يَسْمُو، وكلُّ سقف فهو سَماءٌ، ومن هذا قيل للسحاب السماءُ لأَنها عاليةٌ، والسماءُ كلُّ ما عَلاكَ فأَظَلَّكَ، ومنه قيل لسَقْفِ البيت سماءٌ"(٧).

وقال **الطبري:** "وإنما سميت السماء سماء لعلوها على الأرض وعلى سكانها من خلقه، وكل شيء كان فوق شيء آخر فهو لما تحته سماة، ولذلك قيل لسقف البيت: سماوة؛

(١) ينظر: فتح القدير للشوكاني ١/ ٨٠.
(٢) ينظر: تفسير الطبري ١/ ١٩٧.
(٣) ينظر: المصدر السابق ١١/ ٤٠٧.
(٤) ينظر: تفسير القرطبي ١٧/ ٩.
(٥) ينظر: تفسير النيسابوري ٧/ ٦٦.
(٦) ينظر: تفسير اللباب لابن عادل ١٤/ ٤٠٠.
(٧) ينظر: لسان العرب ١٤/ ٣٩٧.

لأنه فوقه مرتفع عليه، ولذلك قيل: سما فلان لفلان إذا أشرف له وقصد نحوه عالياً عليه"(١).

وقال سيد قطب: "والقوة أوضح ما ينبئ عنه بناء السماء الهائل المتماسك المتناسق، بأي مدلول من مدلولات كلمة السماء، سواءً كانت تعني مدارات النجوم والكواكب، أم تعني مجموعة من المجموعات النجمية التي يطلق عليها اسم المجرة وتحوي مئات الملايين من النجوم، أم تعني طبقة من طبقات هذا الفضاء الذي تتناثر فيه النجوم والكواكب، أم غير هذا من مدلولات كلمة السماء"(٢).

وفسر العلماء المسلمون قوله تعالى: ﴿بِأَيْدٍ﴾ بمعنى القوة، أي بنينا السماء بقوة، قال **ابن الجوزي**: "﴿بِأَيْدٍ﴾ أي: بقُوَّة، وكذلك قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وسائر المفسرين واللغويين (بأيد) أي: بقُوَّة"(٣).

وقال صاحب لسان العرب: "الأَيْدُ والآدُ جميعًا القوة، وقوله عز وجل ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ﴾ [ص: ١٧]، أَي ذا القوة، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾، قال أَبو الهيثم: آد يئيد إِذا قوي، وآيَدَ يُؤْيِدُ إِيآدًا إِذا صار ذا أَيد وقد تأَيَّد، وأُدت أَيْداً أَي قوِيتُ، وتأَيد الشيء تقوى، ورجل أَيِّدٌ بالتشديد أَي قويّ"(٤).

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ فقد فهم منه المفسرون أكثر من معنى وكلها معاني محتملة.

قال ابن الجوزي: "وفي قوله: ﴿وإنّا لَموسِعونَ﴾ خمسة أقوال:

أحدها: لموسِعون الرِّزق بالمطر، قاله الحسن.

والثاني: لموسِعون السماء، قاله ابن زيد.

والثالث: لقادرون، قاله ابن قتيبة.

والرابع: لموسِعون ما بين السماء والأرض، قاله الزجاج.

والخامس: لذو سعة لا يضيق عمّا يريد، حكاه الماوردي"(٥).

---

(١) انظر: تفسير الطبري ١/ ١٩٧.

(٢) انظر: في ظلال القرآن ٧/ ٣٦.

(٣) انظر: تفسير زاد المسير لابن الجوزي ٥/ ٤٢٤.

(٤) انظر: لسان العرب ٣/ ٧٦.

(٥) انظر: تفسير زاد المسير لابن الجوزي ٥/ ٤٢٤.

وقال ابن منظور: "وأَوْسَعَه ووَسَّعَه صيَّره واسعاً، وقوله –تعالى–: ﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أَراد جعلنا بينها وبين الأَرض سَعَةً، جعل أَوْسَعَ بمعنى وَسَّعَ، وقيل أَوْسَعَ الرجلُ صار ذا سَعةٍ وغِنًى، وقوله ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أَي أَغنياءُ قادِرون، ويقال أَوْسَعَ الله عليك أَي أَغناكَ ورجل مُوسِعٌ وهو المَلِيءُ"(١).

وقال **ابن عاشور**: "والمُوسِع: اسم فاعل من أوسع، إذا كان ذا وُسع، أي قدرة. وتصاريفه جائية من السَّعة، وهي امتداد مساحة المكان ضد الضيق"(٢).

ويقول القطان في تفسيره: "﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾: يعني أن هذا الكون فيه أمور تذهل لما يتسع فيه من المجرّات والأجرام السماوية التي تتمدد وتتسع دائماً" (٣).

ففهم العلماء المسلمون قديماً وحديثاً من هذه الآية الكريمة أن الكون في توسع دائم، وهذا هو ما أثبته العلم التجريبي اليوم.

فهذه بينة من البينات التي انفرد الله – عز وجل – بينة من الله تدل على عظمته وحكمته وقدرته... هذه البينة تكون حجة على الخلق يوم العرض والحساب.

المطلب الثاني

البينة من الرسل

لقد سبق وأشرنا إلى أن هناك بينات تنسب للرسل من قِبَل الله – عز وجل، **يقول المولى عز وجل:**{وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى}[طه: ١٣٣].

يقول **الطبري** في تفسيره: (يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء المشركون الذين وصف صفتهم في الآيات قبل، هلا يأتينا محمد بآية من ربه، كما أتى قومه صالح بالناقة، وعيسى بإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، يقول الله جلّ ثناؤه: أو لم يأتهم بيان ما في الكتب التي قبل هذا الكتاب من أنباء الأمم من قبلهم التي أهلكناهم لما سألوا الآيات فكفروا بها لما أتتهم كيف عجَّلنا لهم العذاب، وأنزلنا بأسنا بكفرهم بها، يقول: فماذا يؤمنهم إن أتتهم الآية أن يكون حالهم حال أولئك)(٤).

---

(١) انظر: لسان العرب ٨/ ٣٩٢.

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ١٤/ ١١٤.

(٣) انظر: تفسير القطان ٣/ ٢٧٣.

(٤) انظر: تفسير الإمام الطبري (٤٠٦/١٨).

- ويقول **الواحدي** في تفسيره: (قوله تعالى: {وَقَالُوا} يعني المشركين {لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ} هلا يأتينا محمد بآية من ربه كما أتى بها الأنبياء نحو الناقة والعصا(١). قال أبو إسحاق: (وقد أتتهم الآيات ولكنهم طلبوا أن يأتيهم ما يقترحون)(٢).

قال الله -تعالى-: {أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى} يعني: أو لم تأتيهم بالقرآن ببيان ما في التوراة والإنجيل والكتب المتقدمة، وذلك أعظم آية إذ أخبر أُمِّي بما فيها من غير قراءة كتاب على ما تصدقه أهل الكتب. هذا معنى قول الكلبي وغيره(٣).

وفيه قول آخر وهو: (أن المعنى أولم تأتهم ببيان ما في الكتب من أنباء الأمم التي أهلكناهم لما سألوا الآيات ثم كفروا بها فماذا يؤمنهم أن يكون حالهم في سؤال الآية كحال أولئك، وإنما أتاهم هذا البيان في القرآن)(٤). وقال بعض أهل التفسير: {بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى} ما تقدم من البشارة بمحمد -صلى الله عليه وسلم- في الكتب المتقدمة وبيان نعته وصفته)(٥).

ويقول **القرطبي:** (قوله تعالى: {وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ} يريد كفار مكة، أي لولا يأتينا محمد بآية توجب العلم الضروري. أو بآية ظاهرة كالناقة والعصا. أو هلا يأتينا بالآيات التي نقترحها نحن كما أتى الأنبياء من قبله: قال الله تعالى: {أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى} يريد التوراة والإنجيل والكتب المتقدمة، وذلك أعظم آية إذ أخبر بما فيها. وقرى" الصحف" بالتخفيف. وقيل: أو لم تأتيهم الآية الدالة على نبوته بما

---

(١) ينظر: "جامع البيان" ١٦/ ٢٣٧، "زاد المسير" ٥/ ٣٣٦، "الجامع لأحكام القرآن" ١١/٢٦٤، "فتح القدير" ٣/ ٥٦٤، ويشهد لهذا قوله سبحانه في سورة هود: {وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ}. وقوله سبحانه في سورة الشعراء: {فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ}.

(٢) ينظر: "معاني القرآن" للزجاج ٣/ ٣٨١.

(٣) "الكشف والبيان" ٣/ ٢٧، "تفسير القرآن العظيم" ٣/ ١٩٥، "التفسير الكبير" ٢٢/ ١٣٧.

(٤) ينظر: "جامع البيان" ١٦/ ٢٣٧، "معالم التنزيل" ٥/ ٣٠٤، "زاد المسير" ٥/ ٣٣٦، "الجامع لأحكام القرآن" ١١/ ٢٦٤.

(٥) ينظر: "بحر العلوم" ٢/ ٣٥٩، "الجامع لأحكام القرآن" ١١/ ٢٦٤، "التفسير الكبير" ٢٢/ ١٣٧. كما قال سبحانه في سورة الصف الآية رقم (٦): {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ}.

* انظر: تفسير البسيط للواحدي (١٤/٥٦٣ – ٥٦٤).

وجدوه في الكتب المتقدمة من البشارة. وقيل: أو لم يأتهم إهلاكنا الأمم الذين كفروا واقترحوا الآيات، فما يؤمنهم إن أتتهم الآيات أن يكون حالهم حال أولئك(١).

– ويقول **القاضي البيضاوي** في تفسيره: (وَقالُوا لَوْلا يَأْتِينا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولى):

– وَقالُوا لَوْلا يَأْتِينا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ بآية تدل على صدقه في ادعاء النبوة، أو بآية مقترحة إنكاراً لما جاء به من الآيات، أو للاعتداد به تعنتاً وعناداً فألزمهم بإتيانه بالقرآن الذي هو أم المعجزات وأعظمها وأبقاها، لأن حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم أو العمل على وجه خارق للعادة، ولا شك أن العلم أصل العمل وأعلى منه قدرًا وأبقى أثرًا فكذا ما كان من هذا القبيل، ونبههم أيضاً على وجه أبين من وجوه إعجاز المختصة بهذا الباب فقال: أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولى من التوراة والإنجيل وسائر الكتب السماوية، فإن اشتمالها على زيادة ما فيها من العقائد والأحكام الكلية مع أن الآتي بها أُميّ لم يرها ولم يتعلم ممن علمها إعجاز بين، وفيه إشعار بأنه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث إنه معجز وتلك ليست كذلك، بل هي مفتقرة إلى ما يشهد على صحتها(٢).

(١) ينظر: تفسير القرطبي (٢٦٤/١١).

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٤٣/٤).

المبحث الرابع
معاندة البينة وقبولها
المطلب الأول
التكذيب بالبينة

المسألة الأولى: أسباب تكذيب البينة

إن بداية قصة معاندة الرسل وتكذيبهم ثابتة ومعروفة، فالسبب وراء ذلك التكذيب: أن التكذيب ليس مقصودًا لذاته، فكل الأقوام الذين كذبوا الرسل يعلمون في قرار أنفسهم صدق دعوة الرسل، وأنهم لا يكذبون فيما عن ربهم، لكن سبب تكذيبهم لهم هو الحفاظ على مصالحهم الدنيوية التي سوف يهددها الإيمان بهؤلاء الرسل.

فالإيمان بالرسل يعني الإيمان بالله تعالى الذي ينتج عنه عبادته وطاعته في شريعته وامتثال للأمر الإلهي وبالتالي خسارة هؤلاء الكفار مصالحهم والتي تقوم على الاستعلاء والاستبداد والاستعباد والاستقواء على الضعيف، وهذا كله إن هم آمنوا سيزول؛ لتعارضه مع التشريع الإلهي، والكفار يعلمون حقيقة هذا الأمر لكنهم جاحدون، فهم يرفضون فطرة الإيمان داخل قلوبهم ويحاولون طمسها دائمًا؛ لأن الإيمان موجود كفطرة في كل نفوس البشر، لكن الكافر اختار جحده توهمًا بالإبقاء على مصالحه الدنيوية(١).

يشير المولى عز وجل في كتابه العزيز إلى قضية تكذيب الأنبياء في أكثر من موضع منها:

{ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ }[الشعراء: ١٦٠]، { كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ } [الشعراء: ١٠٥]، { كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ } [الشعراء: ١٢٣]، { كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ } [الشعراء: ١٤١].

إن الله تبارك وتعالى، قد بين الأسباب التي تجعل المعاندين والمنكرين ينكرون ما جاء به الرسل، ولا يؤمنون به، فقال الله تبارك وتعالى: **(بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ)** [يونس: ٣٩].

---

(١) ينظر: مقالة الأستاذة/ ندى فوزي حول تكذيب الكفار للرسل. بتصرف.

هذه الآية لو تدبرناها وعقلناها وفهمناها كما هو السائر في آيات القرآن الحكيم؛ لوجدناها وحدها كافية لبيان أسباب ضلال هؤلاء القوم: **(بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ)** [يونس: ٣٩].

ونخلص إلى جملة من الأسباب:

١- عدم الإحاطة بعلمه:-

من أسباب التكذيب، ورد ما جاءت به الرسل: أنهم لم يحيطوا بعلمه، وكما قال الله تبارك وتعالى عنهم: (بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ) [النمل: ٦٦].

أي: أن كثيرًا من الناس عادة يريدون أن يصدقوا -فقط- ما يمكن أن يعلموه، أو يستدلوا عليه، أو بما يمكن أن يصلوا إليه بفكرهم وعقولهم، فالسبب هو: (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ) [يونس: ٣٩].

٢- عدم وصول تأويله إليهم:-

والسبب الآخر: (وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ) [يونس: ٣٩].

فإن الناس يصدقون بالمشاهد المحسوس، ويكذبون بالغيب المكتوم، والتأويل له معانٍ؛ ففي هذه الآية جاء بمعنى: الوقوع: أي: وقوع حقيقة الشيء المخبر عنه سابقًا، كما قال يوسف عليه السلام: (هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ) [يوسف: ١٠٠]. أي: هذه حقيقة الرؤيا التي قد وقعت...

فهؤلاء الجاحدون يريدون أن يروا الملائكة، وأن يروا الله، وأن يروا الجنة والنار؛ فإذا رأوا ذلك آمنوا؛ وهذا مما يطلبه الجاحدون والظالمون، ولكن!! هل يلبى لهم ذلك؟ لا، فهم يريدون أن يؤمنوا بشيء يمكن لعقولهم أن تصل إليه، وهذا هو الذي لا يمكن؛ وهم يريدون -أيضًا- أن يؤمنوا بشيء يمكن لعقولهم أن تستدل عليه، وأن تعرفه؛ والله سبحانه وتعالى إنما أرسل الرسل لعالم الغيب، فهو عالم لا يمكن أن تحيط العقول البشرية به علمًا؛ إنما غاية الأمر أن تستدل عليه، وأن تؤمن به وتثبته في الجملة.

فكل إنسان في فطرته الإيمان باليوم الآخر، وبما جاء به الأنبياء، ولو أنه فكر لوجد أن الإيمان بكل ما جاء به الأنبياء ضرورة عقلية لا بد منها، لكن هل يمكن أن يؤمن عن طريق العقل المجرد بالميزان، أو بالصراط.

المسألة الثانية: أصناف المكذبين

يقص الله علينا في كتابه الحكيم: بأن الناس كانوا أمة واحدة، فما دب بينهم الاختلاف إلا من بعد ما جاءتهم الرسل، مما يجعلنا نتقصى أسباب الاختلاف وتكذيب الأنبياء.

وما جاءت الرسل إلا لترشد الناس فيما كانوا فيه يختلفون، والاختلاف طبيعة بشرية وسنة كونية، ليس لنا أن نعاكسها، بل نقبل بها ونماشيها إن رمنا فعلًا الإصلاح، لكن الطبيعة البشرية الغارقة في الجهل والظلم تأبى الاستنارة واليقظة الفكرية، وترتاح في بحبوحة شرها، وتستسلم لشياطينها، وصدق الله العظيم {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} ، وتتنكب الجدل والخصومة، ويوحي إليها شيطانها أنها خير ممن آمن واستسلم لشرع ربه، وهو ما يوقظ الصراع، ويذكي نار الغضب، ويضحى المجتمع فريقين، سبيل المؤمنين، وسبل الشيطان.

وأهم دواعي الاختلاف بين البشرية في تكذيب الرسل هي:

١- البغي: {انَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [البقرة: ٢١٣].

٢- الكبر: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ} [البقرة: ٨٧].

٣- الجهل: {حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [النمل: ٨٤].

٤- الإجرام: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا} [الفرقان: ٣١].

٥- الكفر: {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا} [النساء: ١٠١].

٦- الإفساد: {وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} [الأعراف: ٨٦].

٧- نزغ الشيطان: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا} [الإسراء: ٥٣].

٨- الجدال بالباطل: {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ} [غافر: ٥].

٩- شياطين الإنس: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} [الأنعام: ١١٢].

وغير ذلك كثير...

ومرد هذه الأمور كلها – في رأينا- إلى ثلاثة عناصر وهي:

١- الكذب. ٢- الظلم. ٣- الكفر.

المسألة الثالثة: عاقبة المكذبين

بداية: العاقبة: منتهى الشيء، وما يصير إليه، والعاقبة إذا أطلقت اختصت بالثواب، وبالإضافة قد تستعمل في العقوبة.

- الذنوب التي تدعو إلى الهلاك ضربان: معاندة الرسل، والاستكبار والعتود، والتكذيب، وكفران النعم بالبطر، وغمط الحق، وظلم الضعفاء... (١).

إن عاقبة هؤلاء: هو الهلاك والعطب وخزي الدنيا وعارها، وسخط الله من البوار وخراب الديار وعفو الآثار، قال -تعالى-: { فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } [الزخرف: ٢٥]. بعدما كانوا فيه من النعيم العظيم الذي يفوق ما أنتم عليه، فهذه ديارهم خربة وجناتهم مغبرة وأراضيهم مكفرة، فإذا كانت عاقبتهم هذه العاقبة فأنتم بهم لاحقون، وبعد هلاكهم هالكون.

كثير من آي الذكر الحكيم نزلت بوعيد المكذبين للأنبياء قال تعالى: {أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ} [الأعراف: ٩٧، ٩٨]

(١) ينظر: تفسير المراغي، دار إحياء التراث العربي بيروت (٧/ ٧٦). وانظر: الفعل الحضاري في القرآن الكريم للدكتور محمد عبد الله زرمان ص ١٠٠، ١٠١.

وقال تعالى: { {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ } [الأعراف: ١٣٣].

اختلف أهل العلم في معنى (الطوفان) فقال بعضهم: هو الماء(١).

وقال آخرون: هو الموت(٢).

وقال آخرون: بل ذلك كان أمرًا من الله طاف بهم(٣).

وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة(٤) يزعم أن " الطوفان" من السيل: البُعاق والدباش، وهو الشديد ومن الموت المبالغ الذريع السريع – وقال بعضهم: هو كثرة المطر والريح(٥).

وأما (القمل) فقيل: هو السوس الذي يخرج من الحنطة وقال بعضهم: هو الذَبَى، وهو صغار الجراد الذي لا أجنحة له. وقال آخرون: بل هو البراغيث، وقيل: هو دواب سود صغار(٦).

عن سعيد بن جبير قال: (لما أتى موسى فرعون قال له: أرسل معي بني إسرائيل: فأبى عليه، فأرسل الله عليهم الطوفان وهو المطر وصب عليهم منه شيئًا، فخافوا أن يكون عذابًا، فقالوا لموسى: ادع لنا ربك أن يكشف عنا المطر فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه، فلم يؤمنوا، ولم يرسلوا معه بني إسرائيل، فأنبت لهم في تلك السنة شيئًا لم ينبته قبل ذلك من الزرع والثمر والكلأ، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك فيكشف عنا الجراد فنؤمن لك، ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه فكشف عنهم الجراد فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل، فداسوا وأحرزوا في البيوت، فقالوا قد أحرزنا، فأرسل الله عليهم القمل، وهو السوس الذي يخرج منه فكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرحى، فلا يرد منها ثلاثة أقفزة فقالوا: يا موسى: ادع لنا ربك يكشف عنا القمل،

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، ط مؤسسة الرسالة (١٣/ ٤٩).

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٥٢).

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٥٢).

(٤) هو أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٢٢٦).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (١٣/ ٥٢).

(٦) المصدر السابق (١٣/ ٥٣– ٥٨).

فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل؛ فدعا ربه، فكشف عنهم ... ثم أرسل الله عليهم الضفادع، ثم أرسل عليهم الدم، فكان ما استقوا من الأنهار والآبار.

بأن عاقبة هؤلاء المنكرين المعاندين هو: (العذاب الغليظ) العذاب الغليظ مصير الذين يتبعون أمر كل جبار عنيد.. وذلك لجحودهم بآيات ربهم، وعصيان من أرسل إليهم، واتباع الجبابرة المعاندين.. ولكل عصر جبابرته المعاندون الذين يستخفون بعقول أتباعهم، فيتابعونهم في أمور التجبر والعناد.

ولا يخلو عصرنا هذا من هؤلاء الجبابرة المعاندين، ولا من الذين يتبعوههم.. وسنة الله عز وجل في الخلق أن مصير الجبابرة المعاندين ومصير أتباعهم هو العذاب الغليظ، ولعنة الدارين عاجلًا وآجلًا.. ولا يحل العذاب الغليظ بالجبابرة المعاندين إلا بعد أن يستكملوا ويستوفوا جبروتهم وعنادهم ولا يحل أيضًا بأتباعهم إلا بعد أن يستكملوا ويستوفوا أتباعهم لهم ومعلوم أن العذاب الغليظ هو العذاب الشديد الصعب والقاسي الذي لا يطاق، وهو أنواع كثيرة عند الله – عز وجل – منه:

عذاب قوم هود الذي قال الله تعالى فيه: {وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١) مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ} [الذاريات: ٤١، ٤٢] والريح العقيم هي التي لا تلقح سحابًا ولا شجرًا، ولا منفعة، ولا رحمة ولا بركة فيها. والعقم نقيض الخصب.

وتأتي أنواع العذاب الغليظ الأخرى على قدر جبابرة كل عصر ومصر، وعلى قدر اتباع الأتباع لهم... (١).

المطلب الثاني

شروط البينة وسمات قابلي البينة ونتائج قبولها

المسألة الأولى: شروط البينة.

* الكلام في هذه المسألة، يدور حول أن البينة بمعنى المعجزة التي يثبت الله – عز وجل – بها صدق أنبيائه، ولصدق ما جاء به الأنبياء والرسل، لا بد من توافر شروط في هذه البينات والمعجزات، وأهم هذه الشروط:

١– يجب أن يكون المُظهر للمعجزة هو الله تعالى بحيث لا يقدر على إظهارها غيره.

(١) ينظر: مقال عنوان (العذاب الغليظ مصير الذين يتبعون كل جبار عنيد) للأستاذ محمد شكري.

٢- يجب أن تكون خارقة للعادة، والمراد بها عادة الله عز وجل من إيجاد الكائنات من ربط المسببات بالأسباب التي تناسبها.

٣- أن تأتي على يد مدّعي الرسالة ، ليعلم أنه تصديق من الله له، فلو ظهرت على يد من لا يدعيها فلا تكون معجزة.

٤- أن تتعذر معارضته، فلو استطاع أحد أن يأتي بمثل هذا الخارق ، بطل كونها معجزة، ولذا فإنها لا تدل على صدقه.

٥- أن تكون المعجزة موافقة للدعوى، فإن قال المدعي: إن معجزتي هي إحياء الموتى، ثم ظهرت على يديه معجزة أخرى كنتق الجبل مثلاً، لا تكون هذه معجزة له.

٦- أن لا تكون المعجزة مكذبة لمدعيها، فلو كانت المعجزة أن ينطق الحيوان مثلاً، فنطق وكذب هذا المدعي فلا يكون هذا النطق معجزة دالة على صدقه.

٧- أن تقع المعجزة بعد تاريخ ادعاء مدعي الرسالة وليس قبله، فإذا حصلت للأنبياء قبل بعثهم فإن هذا من قبيل الإرهاص.

٨- أن تقع المعجزة قبل زمن نقض العادات أي قبل الساعة"(١).

المسألة الثانية: سمات قابلي البينة

أولاً: قال الله تعالى: ﴿ الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١ - ٥].

ويقول أيضا:

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

---

(١) ينظر: الواضح في علوم القرآن ص ١٦- ٣٠ بتصرف كبير. الواضح في علوم القرآن، المؤلف: مصطفى ديب البغا – محي الدين مستو الناشر: دار الكلم الطيب – دار العلوم الإنسانية، سنة النشر: ١٤١٨ – ١٩٩٨، رقم الطبعة: ٢.

ففي هذه الآيات مجموعةٌ مباركة من سمات المتقين قابلي البينة، وهي:

١. الإيمان بالله – تعالى.
٢. الإيمان بالأنبياء – عليهم الصلاة والسلام.
٣. الإيمان بالقرآن والكتُب المُنزَّلة السابقة.
٤. الإيمان باليوم الآخِر.
٥. الإيمان بالملائكة.
٦. الإيمان بالغيب.
٧. إعطاء المال للأقرباء، واليتامى، والمساكين، والمسافرين، والسائلين، وإعتاق الرقاب.
٨. الوفاء بالعهد.
٩. الصبر في الفقر، والمرض، ووقت قتال الأعداء.
١٠. الصدق في الأقوال، والأفعال، والأحوال.

– فمَن عَمِل بهذه الصفات، كان على الهدى العظيم، وكان من المفلحين الفائزين في الدنيا والآخِرة، فهؤلاء الذين قاموا بهذه الأعمال صدَقوا في إيمانهم؛ لأن أعمالهم صدَّقت إيمانَهم، وهم المُفلحون؛ لأنهم تركوا المحظورات وفعلوا المأمورات؛ ولأن هذه الأمور مُشتمِلة على كل خصال الخير تضمُّنًا ولزومًا؛ لأن الوفاء بالعهد يَدخل فيه الدِّين كلُّه، ومَن قام بهذه الأعمال، كان لما سواها أقوم، فهؤلاء هم الأبرار الصادقون المتَّقون(١).

* ومن هذه السمات – أيضًا– :

– سلامةُ القلب من الشرك والفساد، والغلِّ والحقد والحسد ومثيلاتها من أمراض القلوب، ورديء الأخلاق.

– الاهتمامُ بأمر هذا الدين والشعورُ بقضايا المسلمين. نصرةُ هذا الدين والجهادُ في سبيله، والقولُ بالحق والعملُ به في حال السراءِ والضراء.

– الإقبالُ على الطاعات، والمسارعةُ في الخيرات والضربُ بسهم في شتى القربات.

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان؛ للسعدي. ص٨٣.

– الصدق في القول دائماً، والوفاء بالعهود أبدًا، والالتزام بالوعود تعبدًا، والصدق في النوايا وتجريد الأعمال خالصةً لوجه الله(١).

المسألة الثالثة: نتائج قبول البينة

نتائج وثمار الإيمان بما جاء به الأنبياء من البينات:

١– العلم برحمة الله وعنايته بعباده:

قال الله تعالى: (لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءايَٰتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ) [آل عمران: ١٦٤].

قال **ابن كثير:** "يذكر تعالى عباده المؤمنين ما أنعم به عليهم من بعثه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إليهم، يتلو عليهم آيات الله مبينات، وذم من لم يعرف قدر هذه النعمة فقال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ) [إبراهيم:٢٨]، قال ابن عباس: يعني بنعمة الله محمدا صلى الله عليه وسلم، ولهذا ندب الله المؤمنين إلى الاعتراف بهذه النعمة ومقابلتها بذكره وشكره"(٢).

عن **عبد الله بن زيد** رضي الله عنه، قال: لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئا، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: "يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي؟! وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟! وعالة فأغناكم الله بي؟!" كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمن(٣).

قال **ابن حجر:** "قوله: (ألم أجدكم ضلالا) بالضم والتشديد جمع ضال، والمراد: هنا ضلالة الشرك. وبالهداية الإيمان، وقد رتب صلى الله عليه وسلم ما منَّ الله عليهم على يده من النعم ترتيبًا بالغًا، فبدأ بنعمة الإيمان التي لا يوازيها شيء من أمر الدنيا، وثنى بنعمة الألفة وهي أعظم من نعمة المال؛ لأن الأموال تبذل في تحصيلها وقد لا تحصّل، وقد كانت الأنصار قبل الهجرة في غاية التنافر والتقاطع لما وقع بينهم من حرب بعاث

---

(١) ينظر: كتاب طريق الهجرتين لابن القيم. بتصرف يسير.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم(١٩٧/١).

(٣) أخرجه البخاري في المغازي، باب: غزوة الطائف في شوال سنة ثمان (٤٣٣٠)، واللفظ له، ومسلم في الزكاة (١٠٦١).

وغيرها، فزال ذلك كله بالإسلام كما قال الله تعالى: (لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ [الأنفال:٦٣]" (١).

٢- شكر الله تعالى على هذه النعمة:

قال الله تعالى: كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنْكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ (١٥١) فَٱذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ [البقرة:١٥١، ١٥٢].

قال **ابن كثير**: "يذكر تعالى عباده المؤمنين ما أنعم به عليهم من بعثه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إليهم، يتلو عليهم آيات الله مبينات، وذم من لم يعرف قدر هذه النعمة فقال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ) قال ابن عباس: يعني بنعمة الله محمدا صلى الله عليه وسلم، ولهذا ندب الله المؤمنين إلى الاعتراف بهذه النعمة ومقابلتها بذكره وشكره ولهذا قال بعدها: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) [البقرة:١٥٢]"(٢).

٣- المحبة والتعظيم للرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

ومن ثمرات الإيمان بالأنبياء والرسل محبتهم وتعظيمهم والثناء عليهم بما يليق بهم لأنهم رسل الله تعالى، ولما قاموا من عبادة الله وتبليغ رسالته والنصح لعباده.

عن **أنس رضي الله عنه** قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده، وولده، والناس أجمعين)(٣).

قال **ابن حجر**: "وفي هذا الحديث: إيماء إلى فضيلة التفكر فإن الأحبية المذكورة تعرف به، وذلك أن محبوب الإنسان إما نفسه وإما غيرها(٤).

* أما عن ثمار هذا الإيمان :

١- **الهداية للحق:** قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٤٧].

---

(١) ينظر: فتح الباري(٨/٥٠).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم(١/١٩٧).

(٣) ينظر: أخرجه البخاري في الإيمان، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان(١٥)، ومسلم في الإيمان(٤٤).

(٤) ينظر: فتح الباري(١/٦٠).

٢- **الولاية:** قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

- فهو النصير والمعين لأهل الإيمان يتولاهم بعونه، ولا يكلهم إلى غيره سبحانه يقول ابن جرير في معنى الآية: "نصيرهم وظهيرهم ويتولاهم بعونه وتوفيقه"(١).

٣- **الرزق الطيب:** قال تعالى: ﴿وَلَو أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

فمن الثمار التي يجنيها أهل الإيمان البركات التي يجدونها في أرزاقهم، مع تيسير الخير لهم، وإن كان بعض أهل التفسير قصر البركات من السماء والأرض على المطر والنبات؛ لكن حملها على العموم هو الأقرب.

- يقول الإمام **الشوكاني:** ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي يسرنا لهم خير السماء والأرض كما يحصل التيسير للأبواب المغلقة بفتح أبوابها، قيل المراد بخير السماء: المطر، وخير الأرض النبات والأولى حمل ما في الآية على ما هو أعم من ذلك... (٢).

٤- **عدم تسليط الكافرين:** قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١].

٥- التمكين والاستخلاف في الأرض: قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥].

فمن الثمار العظيمة التي تحصل لأهل الإيمان التمكين لهم، فالاستخلاف في الأرض والتمكين لهم وجعلهم أئمة الناس والولاة عليهم، وخضوع البلاد لهم لمن أعظم ثمار الإيمان؛ لأن به تصلح البلاد ويحصل الأمن للناس، وقد حصل هذا للرسول صلى الله عليه وسلم ولمن جاء بعده من الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ٣/ ٢٣، وانظر في معنى الآية تفسير القرطبي: ٣/ ٢٧٠، وفتح القدير: ١/ ٤١٧، وتفسير البغوي: ١/ ٣١٥.

(٢) ينظر: باختصار من فتح القدير: ٢/ ٣٣٢، وانظر في تفسير الآية تفسير البيضاوي: ١/ ٤٣، وروح المعاني: ٩/ ١٠.

فهم حققوا الإيمان فتحقق لهم الوعد، وهذا الوعد عام يعم جميع الأمة بشرط الإيمان والعمل الصالح، قال الشوكاني: "وهذا وعد من الله سبحانه لمن آمن بالله وعمل الأعمال الصالحات بالاستخلاف لهم في الأرض لما استخلف الذين من قبلهم من الأمم وهو وعد يعم جميع الأمة، وقيل هو خاص بالصحابة ولا وجه لذلك فإن الإيمان وعمل الصالحات لا يختص بهم بل ويمكن وقوع ذلك من كل واحد من هذه الأمة، ومن عمل بكتاب الله وسنة رسوله فقد أطاع الله ورسوله"(١).

(١) ينظر: فتح القدير: ٤/ ٦٩، وانظر في تفسير الآية تفسير ابن كثير: ٣/ ٤٠١، وتفسير القرطبي: ١٢/ ٢٧٢.

المبحث الخامس
البينة والإعجاز العلمي

تمهيد:

القرآن الكريم كتاب معجز {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: ٤٢] ، أعجز العرب ببلاغته وبيانه الشامل للفظ والتركيب والمعنى، وقد اعتنى علماء المسلمين بإعجاز القرآن الكريم ؛ فألفوا رسائل وكتبًا كثيرة في ذلك، كما كتب فيه المعاصرون رسائل ومؤلفات قيمة أيضا، وإن كان الجانب الأبرز وقت نزول القرآن هو إعجازه البياني إلا أن إعجاز القرآن يشمل جوانب عديدة منها الإعجاز العلمي سنحاول في هذا المبحث التعرض للبينة القرآنية ودلالتها على الإعجاز العلمي .

فالبينة – كما سبق أن أشرنا– هي الحجة الظاهرة الواضحة التي يتميز بها الحق من الباطل، وأصلها من البيان بمعنى الظهور والوضوح؛ لأن بها تتضح الأمور، أو من البينونة بمعنى الانفصال؛ لأن بها ينفصل الحق عن الباطل بعد التباسهما.

واستُعمل لفظ البينة في القرآن الكريم في عدة معان، منها، المعجزة، والآية: {قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً}[الأعراف:٧]. يعني: ناقة صالح كانت بينة، يعني: معجزة، فالبينة هنا بمعنى المعجزة، {وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ} [البقرة:٨٧] يعني المعجزات.

المطلب الأول
تعريف الإعجاز والمعجزة

تعريف الإعجاز والمعجزة:

الإعجاز لغةً مشتق من العجز والضعف وعدم القدرة، وهو مصدر أعجز ومعناه الفوت، والسبق، والمعجزة في اصطلاح العلماء: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة(١) ؛وعرَّفه مصطفى صادق الرافعي بقوله: "وإنما الإعجاز شيئان:ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدة الإنسان

(١)انظر، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عبد الله بن عبد العزيز المصلح ،ودكتور عبد الجواد الصاوي، ص٢٣.

واتصال عنايته ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه. فكأنَّ العالم كله في العجز إنسان واحد، ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت.."(١)

أما عن المعجزة ، "فلم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة مصطلح المعجزة ، وإنما ظهر هذا المصطلح في وقت متأخر بعض الشيء عندما دونت العلوم ومنها علوم العقائد في أواخر القرن الثاني الهجري وبداية الثالث"(٢)أما عن تعريفها فهي أمر خارق للعادة، داعٍ إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة، قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله(٣).

وليس المقصود بالمعجزة إثبات العجز للخلق ذاته من غير ترتب مطلب على هذا العجز ، بل المقصود لازم هذا العجز وهو إقامة الحجة على أن هذا الادعاء حق، وأن الرسول الذي جاء به رسول صدق(٤).

شروط المعجزة:

١ – أن تكون المعجزة من الله تعالى دون غيره، لأنها تصديق منه لرسول فلا يصدقه بفعل غيره، سواء كان هذا الأمر (المعجزة) الذي يظهره الله قولا مثل القرآن، أم فعلا كفلق البحر لسيدنا موسى، أم تركا كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه السلام.

٢ – أن تكون خارقة للعادة لأنها لو لم تكن كذلك لأمكن للكاذب ادعاء الرسالة، وخرج بهذا السحر والشعوذة والمخترعات الغربية.

٣ – أن تظهر على يد من يدعي النبوة ليعلم أنه تصديق له فخرج بهذا الكرامة والمعونة والاستدراج.

٤ – أن تكون مقرونة بدعوى النبوة ومصاحبة لها حقيقة أو حكما كما إذا تأخرت بزمن يسير . وخرج بهذا الإرهاص.

٥ – أن تكون المعجزة موافقة للمطلوب، فإن جاءت مخالفة للمطلوب سميت إهانة كما حصل لمسيلمة الكذاب، فإنه تفل في عين لتبرأ فعميت السليمة.

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، ص١٣٩.

(٢) مباحث في إعجاز القرآن الكريم، د. مصطفى مسلم، دار المسلم، ص١٣.

(٣) ينظر: التعريفات (ص: ٢١٩)، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (٣/ ٢٠٢).

(٤) مباحث في إعجاز القرآن الكريم، د. مصطفى مسلم، دار المسلم، ص٢٠.

٦ – أن لا تكون مكذبة للمدعي. فلو قال الإنسان: معجزتي نطق هذا الجماد فنطق الجماد مكذبًا له فإن تكذيبه يعتبر دليلا على كذب المدعي.

٧ – أن تتعذر معارضة الأمر الخارق للعادة والإتيان بمثله لأن المعارضة لو أمكنت واستطاع أحد أن يأتي بمثل الأمر الخارق للعادة الذي جاء به النبي لأمكن لأي كاذب أن يدعي النبوة.

٨ – زاد بعضهم أن لا تحصل المعجزة زمن نقض العادات– وذلك كزمن طلوع الشمس من مغربها وتكلم الدابة، وظهور المسيح الدجال، فإن الخوارق فيه ليست معجزة(١).

وباستعراض معجزات الأنبياء السابقين ومعجزات خاتمهم عليهم الصلاة والسلام أجمعين نلاحظ أن المعجزة تُختار من بيئة القوم الذي يرسل الرسول إليهم ومن نوع المشهور في عصرهم بما يتلاءم مع مستواهم الفكري ورقيهم الحضاري لتكون الحجة أقوى، والحكمة الإلهية في اختيار المعجزة من جنس ما اشتهر به بين القوم هي أن الإنسان إذا أوتي من قبل ما يعتبره مفخرته ومجال إجادته واعتزازه تكون الحجة عليه أقوى والمعجزة أكثر فعلا وأثرا.(٢)

الفرق بين البينة المعجزة:

البينة معنى أوسع من المعجزة، فكل معجزة بينة وليس كل بينة معجزة، وكذلك فإن مصطلح البينة لا يقتصر إطلاقه على معجزات الأنبياء وإنما يطلق على كل حجة تظهر الحق على الباطل ويعرف بها الصواب من الخطأ.

وقد اصطلح القرآن على تسمية "المعجزة" بالبينة، والآية، والحجة، والبرهان، والسلطان، قال تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ} [الحديد: ٢٥] ، وقال تعالى: {سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ} [البقرة: ٢١١] ، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا} [النساء: ١٧٤]. وقال تعالى: {قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} [الأنعام: ١٤٩]، وقال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ} [هود: ٩٦] ، وقال تعالى: {قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا

---

(١) ينظر: تبسيط العقائد الإسلامية، حسن محمد أيوب (ص: ١٤٥) الناشر: دار الندوة الجديدة، بيروت – لبنان، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣ ه – ١٩٨٣م.

(١) مباحث في إعجاز القرآن الكريم، د. مصطفى مسلم، دار المسلم، ص٢٧.

بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [إبراهيم: ١١].

وقد فرق بعض العلماء بين الخارقة التي يتحدى بها الرسول القوم ويجعلها آية صدقه وبرهان صحة رسالته ، وبين الخارقة التي لا تقترن بالتحدي وتقع بين المؤمنين برسالة الرسول، فأطلقوا على النوع الأول اسم (المعجزات) وأطلقوا على النوع الثاني اسم (دلائل النبوة).(١)

المطلب الثاني

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

الإعجاز العلمي في القرآن من المواضيع التي بدأ انتشارها مؤخرًا بصورة كبيرة وبلغت البحوث العلمية أوجها واكتُشِفَت كثير من الحقائق التي تحدث عنها القرآن قبل أربعة عشر قرناً من الزمان ولا يزال المزيد يُكتشف خاصة في مجال الفلك وعلم الأجنة والتشريح والجيولوجيا وعلم الحيوان والنبات وآيات لا حد لها بينها الله تعالى في القرآن تكفي لتبيين أنه الحق من عند الله وأن الله هو الحق المبين، قال تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [فصلت: ٥٣]، ولكن عمت قلوب العباد عن تدبرالقرآن وفهم ما فيه بما ران عليها من الذنوب والمعاصي، قال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: ٢٤].

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن مئات الآيات قد تحدثت عن سنن الله سبحانه الله وتعالى في هذا الكون ونظامه وألوان العناية الربانية بمخلوقاته فيه، لذا كان لزامًا على المهتمين بالدراسات القرآنية أن يولوا هذا الجانب اهتمامهم، إلا أن دراسات سابقة اتجهت هذا الاتجاه من غير ضوابط على الرغم من حماس أصحابها وصدق مشاعرهم قد أدت إلى نتائج عكسية، مما جعل كثيرا من الناس يحملون على هذا الاتجاه حرصا منهم على إبعاد القرآن الكريم عن مجال الإخضاع للنظريات العلمية المتقلبة، أو التعسف في تأويل النصوص أو تحميلها ما لا تحتمل من الدلالات.(٢)

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٧.

(٢) مباحث في إعجاز القرآن الكريم، د. مصطفى مسلم، دار المسلم، ص١٦٨.

ولقد جاء في القرآن الكريم من البراهين والأدلة والأمثال ما يعم الشرائح الاجتماعية على مختلف العصور والبيئات لأن المنطلقات الإنسانية محكومة بالفطرة والعقل والتجارب لذا كانت قواعد المخاطبات وأسسها العامة تعمّ كل من كان في عصر نزول الوحي ومن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة، وإذا أدركنا هدف القرآن ومنهجه في الخطاب أدركنا أن ورود الآيات الكونية سواء ما يتعلق منها بالآفاق وما يتعلق منها بالأنفس البشرية شيء بدهي أيضا ، لأن من فئات الناس المكلفين المخاطبين بالقرآن الكريم من ينصب جل اهتمامه على هذه الجوانب من مخلوقات الله ولا بد من إقامة الحجة عليهم.(١)

تعريف الإعجاز العلمي في القرآن

هو إخبار القرآن بحقيقة أثبتها العلم التجريبي أخيرا وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول صلى الله عليه سلم وهكذا يظهر اشتمال القرآن على الحقيقة الكونية التي يئول – يصير وينتهي – إليها معنى الآية ويشاهد مصداقيتها في الكون فيستقر عندها التفسير ويعلم بها التأويل. (٢)

أمثلة للإعجاز العلمي في القرآن

الإعجاز العلمي في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢]. توحي تتمة الآية أن هناك إعراضا مقصودا من فئة من الناس عن آيات الله وبيناته المبثوثة في هذا الكون، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفاً مَّحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢] وإن كانت الآية تتحدث عن حفظ السماء إلا أن ما قبلها من الآيات كان يتحدث عن قدرة الله في ملكوته.

والإعراض هنا (معرضون): " يعرضون عن التفكر فيها، وتدبر ما فيها من حجج الله عليهم، ودلالتها على وحدانية خالقها، وأنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلا لمن دبرها وسوّاها، ولا تصلح إلا له"(٣).

ويقول ابن كثير: (... أي: لا يتفكرون فيما خلق الله فيها من الاتساع العظيم، والارتفاع الباهر، وما زينت به من الكواكب الثوابت والسيارات في ليلها، وفي نهارها من هذه

---

(١) مباحث في إعجاز القرآن الكريم، د. مصطفى مسلم، دار المسلم، ص١٦٧.

(٢) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عبد الله بن عبد العزيز المصلح ،ودكتور عبد الجواد الصاوي، ص٣٠.

(٣) انظر: تفسير جامع البيان للطبري (٤٣٦/١٨).

الشمس التي تقطع الفلك بكماله، في يوم وليلة فتسير غاية لا يعلم قدرها إلا الذي قدرها وسخرها وسيرها)(١).

ولعل إعراضهم المذكور لم يأت صدفة أو من غير قصد لأن الله تعالى يقول: ﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥] فهذه الآية تفيد مرور تلك الطائفة من الناس على كثير من الآيات ولكنهم لا يؤمنون.

إذن هو إعراض متعمد ومقصود ناتج من جحود واستكبار لا يتناسب مع من آتاه الله القدرة على التفكر والاستنباط والتجربة والتحليل والاستنتاج، ولهذا يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

والآية التي سنتحدث عنها هنا هي عن السماء التي فوقنا، وكيف أن الله سبحانه جعلها بهذه الكيفية بحيث أن كل من استكشف كنهها يذهل لهذا الذي يراه؟

بيان ألفاظ الآية:

يقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفاً مَّحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢] ؛في هذه الآية ثلاثة ألفاظ تحتاج إلى شيء من البيان من الناحية اللغوية، وهذه الألفاظ هي: (جعلنا – السماء – محفوظا).

جعلنا: جعل في اللغة تعني التصيير والتهييء والتكييف، وقد وردت هذه اللفظة بنسبتها إلى (نا) العظمة ثمانية وأربعون مرة، كلها تفيد المعنى المذكور، قال الرازي في مختار الصحاح: جَعَلَ كذا من باب قطع وجَعَلَهُ نبيا صيره وجعلوا الملائكة إناثا سموهم(٢).

وقال ابن منظور: جَعَلَه يَجْعَلُه جَعْلاً صَنَعه وجَعَله صَيَّرَه قال سيبويه جَعَلْت مَتاعَكَ بَعْضه فَوْقَ بَعْضٍ أَلقيته وقال مرة عَمِلْته وجَعَل الطينَ خَزَفاً والقَبيحَ حَسَناً صيَّرَه إِياه وقال الزجاج جَعَلْت زيداً أَخاك نَسَبْته إِليك وجَعَل عَمِلَ وهَيَّأَ وجَعَلَ خَلَق وجَعَلَ قال ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف:٣] معناه إِنا بَيَّنَّاه قرآناً عربيّاً

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ). ت: سامي بن محمد سلامة. ط: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م. (٣٤١/٥).

(٢) انظر: مختار الصحاح: ١/ ١١٩.

حكاه الزجاج، وقيل: صيَّرناه ومن هذا قوله: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم:٣٠] ويقال جَعَلَ فلان يصنع كذا وكذا كقولك طَفِقَ وعَلِقَ يفعل كذا وكذا ويقال جَعَلْته أَحذق الناس بعمله أي صيَّرته وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء:٣٠] أي خَلَقْنا وإذا قال المخلوق جَعَلْتُ هذا الباب من شجرة كذا فمعناه صَنَعْتَه)(١).

السماء: في اللغة كل ما على فوق الرأس من سقف أو هواء أو بنيان، قال في مختار الصحاح: السَّمَاءُ يذكّر ويؤنث وجمعه أَسْمِيَةٌ وسَمَوَاتٌ والسَّمَاء كل ما علاك فأظلك ومنه قيل لسقف البيت سماء، والسُّمُوُّ الارتفاع والعلو ومنه سَمَوْتُ وسَمَيْتُ مثل عَلَوْتُ وعَلَيْتُ(٢)، والسماء تسمى سقفا لأنها فوق الأرض قال تعالى: ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ [الطور: ٥] وقال ابن منظور: والسماء سَقْفٌ على الأَرض ولذلك ذكِّر في قوله تعالى: ﴿السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل:١٨]، ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء:٣٢](٣).

محفوظاً: حفظ يحفظ حفظا فهو حافظ من اسم الفاعل ومحفوظ من اسم المفعول، والحفظ يعني التعاهد والحراسة والمراقبة والرعاية، والحِفْظ: نقيض النِّسيان وهو التَّعاهدُ وقلّة الغَفْلة والحَفيظ: المُوَكَّل بالشيء يحفَظُه والاحتفاظ: خُصُوص الحفظ تقول: احتفظت به لنفسي واستَحْفَظْتُه كذا أي: سألتَه أن يحفَظه عليك والتَحَفُّظ: قِلّة الغَفْلة حَذَراً من السَّقْطة في الكلام والأمور(٤) ؛وحَفِظَ الشيء بالكسر حفظا حرسه وحفظه أيضا استظهره والحَفَظَةُ الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم والمُحافَظَةُ المراقبة والحَفِيظُ المحافظ ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام:١٠٤] ويقال احْتَفِظْ بهذا الشيء أي أحفظه(٥).

أقوال المفسرين:

الآية التي نحن بصدد تفسيرها تتكون من شطرين: الشطر الأول: عبارة عن خبر بلفظ مجمل يتضمن ماهية السماء وكيفية خلقها، قال: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾[الأنبياء:٣٢]

(١) انظر: لسان العرب: ١١/ ١١٠.
(٢) انظر: مختار الصحاح: ١/ ٣٢٦.
(٣) انظر: لسان العرب: ٩/ ١٥٥.
(٤) انظر: كتاب العين: ٣/ ١٩٨.
(٥) انظر: مختار الصحاح: ١/ ١٦٧.

والشطر الثاني: لنفس الآية هو خبر أيضا ولكنه نتيجة تكونت بسبب سلوك طائفة من الناس هذا السلوك تمثل في إعراضهم عن آيات السماء التي بمجموعها تشكل سقفا محفوظا، قال تعالى: ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:٣٢]؛ لذا سنقسم هذا المبحث إلى شطرين وكما يلي:قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء:٣٢]- تقاربت أقوال المفسرين لهذه الآية، وكلها تشير إلى حفظ السماء من السقوط على الأرض، ومن الشياطين من أن تخترق السمع، ولهم أدلتهم من القرآن على ذلك، وهناك قول ثالث وهو حفظ السماء من الفساد والانحلال ولكنه كلام عام غير محدد أي لم يحددوا نوع ذلك الفساد والانحلال(١).

وقال مجاهد: مرفوعاً وقيل: محفوظاً من الشرك والمعاصي(٢)، فهي أي السماء للأرض كالسقف للبيت ﴿محفوظا﴾ عن الوقوع(٣)، أو من الوقوع بقدرتنا القاهرة أو الفساد والانحلال إلى الوقت المعلوم بمشيئتنا أو من استراق السمع بالشهب(٤).

وكذا يقول ابن كثير: أي على الأرض وهي كالقبة عليها كما قال: ﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات:٤٧]؛وقال: ﴿وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا﴾[الشمس:٥]، ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾[ق:٦] والبناء هو نصب القبة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [بني الإسلام على خمس] أي خمس دعائم وهذا لا يكون إلا في الخيام كما تعهده العرب ﴿محفوظا﴾ أي: عاليًا محروسًا أن ينال وقال مجاهد: مرفوعا(٥).

وقال الآلوسي رحمه الله تعالى: من البلى والتغير على طول الدهر كما روي عن قتادة والمراد أنها جعلت محفوظة عن ذلك الدهر الطويل ولا ينافيه أنها تطوى يوم القيامة طي السجل للكتب وإلى تغيرها ودثورها، وقيل: من الوقوع وقال الفراء: من استراق السمع بالرجوم(٦).

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٤٣٦/١٥). وانظر: تفسير البسيط للواحدي (٦٢/١٥). وانظر تفسير القرطبي (٢٨٥/١١). وانظر: تفسر ابن كثير (٣٤٠/٥).

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١١/ ٢٨٥.

(٣) انظر: تفسير الجلالين: ١/ ٤٢٣.

(٤) انظر: تفسير أبي السعود: ٦/ ٦٥.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٣/ ٢٣٨.

(٦) انظر: روح المعاني: ١٧/ ٣٨.

ومثل ما تقدم يقول البيضاوي: أي عن الوقوع بقدرته أو الفساد والانحلال إلى الوقت المعلوم بمشيئته أو استراق السمع بالشهب(١).

٢- ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢] يقول القرطبي: يعني الكفار، قال مجاهد يعني الشمس والقمر وأضاف الآيات إلى السماء لأنها مجعولة فيها وقد أضاف الآيات إلى نفسه في مواضع لأنه الفاعل لها، بيّن أن المشركين غفلوا عن النظر في السموات وآياتها من ليلها ونهارها وشمسها وقمرها وأفلاكها ورياحها وسحابها وما فيها من قدرة الله تعالى إذ لو نظروا واعتبروا لعلموا أن لها صانعا قادرا واحدا فيستحيل أن يكون له شريك(٢).

ويضيف أبو السعود قائلا: وهم عن آياتها الدالة على وحدانيته تعالى وعلمه وحكمته وقدرته وإرادته التي بعضها محسوس وبعضها معلوم بالبحث عنه في علمي الطبيعة والهيئة معرضون لا يتدبرون فيها فيبقون على ما هم عليه من الكفر والضلال(٣)؛ وهكذا تدور عبارات المفسرين رحمهم الله إلى نفس المعنى حيث يقول الآلوسي: وهم عن آياتها الدالة على وحدانيتنا وعلمنا وحكمنا وقدرتنا وإرادتنا التي بعضها ظاهر كالشمس وبعضها معلوم بالبحث عنه معرضون ذاهلون عنها لا يجيلون قداح الفكر فيها وجعل الإعراض بمعنى إنكار كونها آية بينة دالة على الخالق أي هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع وهم عن كونها آية بينة على الخالق معرضون(٤).

وجه الإعجاز:

نتفق جميعا: أنه لم يكن قبل ألف وأربعمائة سنة بل ولا حتى قبل ثلاثمائة عام من استطاع أن يطير في الهواء فضلا عن أن يقتحم الغلاف الجوي المحيط بالأرض ليرى ما رآه العلماء اليوم من أسرار السماء، وإن شئت أن تكون مستيقنا أكثر فاعلم أنه لم يكن هناك ما يسمى بالتلسكوبات أو المناظير العملاقة القادرة على استكشاف البعيد إلا قبل ثلاثمائة عام تقريبا أو أقل، فمن يا ترى أخبر محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن السماء فيها ما فيها من تلك الخصائص التي بها صارت السماء الدرع الحصين الأول

(١) انظر: تفسير البيضاوي: ١/ ٩٢.
(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١١/ ٢٥١.
(٣) انظر: تفسير أبي السعود: ٦/ ٦٥.
(٤) انظر: روح المعاني: ١٧/ ٣٨.

للأرض؟ لا شك أنه من الذي يعلم السر وأخفى فسبحان من قدس نفسه ونزل القرآن على عبده نورا وجعله لنا برهاناً ساطعًا وحجة دامغة: ﴿طَهَ * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى* إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى* تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى* الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى* لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾[طه: ١/٦].

لقد رأينا أن هناك نظاماً متكاملاً يعمل فوق الأرض وهو يحيط عالمنا ويحميه من التهديدات الخارجية، يديره مدبر خالق عليم، يقول تعالى منكرا على من عبد غير الله وحده لا شريك له الذي أسلم له من في السموات والأرض (أي استسلم له من فيهما طوعا وكرها) ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣] ﴿وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥] فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله والكافر مستسلم لله كرها فإنه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم الذي لا يخالف ولا يمانع(١).

إن معظم الناس ينظرون إلى السماء دون أن يتفكروا بأوجه الحماية التي يوفرها الغلاف الجوي، وعادة لا يفكرون في الحال التي يكون عليها العالم لولا وجود هذا الغلاف، إلا أن العلماء لم يعلموا بوجود هذا إلا مؤخراً ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢] ولكن الله سبحانه وتعالى أخبرنا منذ قرون بعيدة من خلال القرآن الكريم عن غلاف الأرض الجوي الذي يشكل درعاً واقياً بألفاظ وجيزة تفيد هذا المعنى للمتفكر بها تفكرا يخرج به من عالم المألوف إلى رؤية ملكوت السماوات والأرض(٢).

نموذج آخر : وصف الحاجز بين البحرين

تحدث القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً عن ظاهرة فيزيائية عجيبة، لا يمكن للبشر مشاهدتها بأعينهم ، بل إن اكتشافها من قبل العلماء في نهاية القرن التاسع عشر كان أقرب ما يكون للمعجزة؛ لكونها تحدث داخل البحار، هذه الظاهرة هي وجود حاجز أو فاصل بين المياه المالحة والمياه العذبة عند التقائهما في مكان ما، فلا يمتزجان مع

(١) انظر: مختصر ابن كثير: ١/ ٢٣٢.

(٢) انظر: كتاب معجزة القرآن الكريم تأليف هارون يحيى.

أن مستوى الماء العذب أعلى من مستوى الماء المالح، وتحدث القرآن الكريم عن وجود هذه الظاهرة العجيبة في ثلاث آيات قرآنية :

{مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ} [الرحمن: ١٩، ٢٠]

{وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا} [الفرقان: ٥٣]

{أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [النمل: ٦١]

ولقد توصل علماء البحار بعد تقدم العلوم في هذا العصر إلى اكتشاف الحاجز بين البحرين ، فوجدوا أن هناك برزخاً يفصل بين كل بحرين ويتحرك ويسميه علماء البحار الجبهة تشبيهًا له بالجبهة التي تفصل بين الجيشين، وبوجود هذا البرزخ يحافظ كل بحر على خصائصه التي قدرها له الله.(١)

فالقرآن الكريم الذي أنزل قبل أكثر من أربعة عشر قرناً قد تضمن معلومات دقيقة عن ظواهر بحرية لم تكتشف إلا حديثًا بواسطة الأجهزة المتطورة ، فبعد أن أقام الدارسون آلاف المحطات البحرية لتحليل عينات من مياه البحر، وقاسوا في كل منها الفروق في درجات الحرارة ، ونسبة الملوحة ومقدار الكثافة ومقدار ذوبان الأكسجين في مياه البحار في كل المحطات فأدركوا بعدئذ التنوع والاختلاف بينها.(٢)

(١) البينة العلمية في القرآن الكريم، الشيخ عبد المجيد الزنداني، موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

(٢) ينظر، المصدر نفسه بتصرف.

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات

تناول هذا البحث لفظة مهمة وردت في القرآن الكريم وكانت محوراً موضوعياً مهماً وهي لفظة البينة فتناول البحث في المبحث الأول البينة في السياق القرآني فعرض للمعنى اللغوي والاصطلاحي ووضح أن كلمة البينة هنا مطلقة على المعنى العام الذي هو (الحجة والدليل والبرهان)؛ والتعميم في معنى البينة يجعلها تشمل جميع الطرق والوسائل المشروعة للإثبات المتفق عليها والمختلف فيها، وتكون البينة بهذا المعنى مرادفة للإثبات والدليل في معرفة الحق وتأكيد وجوده. كما تتبع البحث صيغة كلمة البينة ومشتقاتها في القرآن الكريم فقام البحث بحصرها وإيراد مواضعها مع نماذج لكل صيغة بتفسيرات المفسرين من مصادرهم الأصلية كما حصر البحث المفردات القرآنية التي وردت بمعنى البينة مع بيان أهمية البينة

ومكانتها كما وضح البحث أنواع (البينة في القرآن الكريم) ومواضعها التي تُطلَب فيها وقد وضح البحث معنى البينة ،انها من الله ومعنى أنها من رسله أيضاً فالبينة من الله هي الآيات والمعجزات التي لا دخل للأنبياء والرسل فيها كما للرسل بينات من الله تثبت رسالتهم وتؤيدها كما عرض البحث في المبحث الرابع

معاندة البينة وقبولها ووضح أسباب التكذيب وأصنافهم وعاقبتهم وعرض البحث شروط البينة وسمات قابلي البينة ونتائج قبولها وربط البحث بين البينة والإعجاز العلمي **فعرض لتعريف الإعجاز والمعجزة ،وشروط المعجزة وفرق بين البينة المعجزة،** فالبينة معنى أوسع من المعجزة، فكل معجزة بينة وليس كل بينة معجزة، وكذلك فإن مصطلح البينة لا يقتصر إطلاقه على معجزات الأنبياء وإنما يطلق على كل حجة تظهر الحق على الباطل ويعرف بها الصواب من الخطأ، وأورد البحث لنماذج من الإعجاز العلمي في القرآن ؛ ولم يخل البحث من تحليل للآيات الواردة في كل مبحث ومطلب من مصادره الأصلية **صل البحث إلى مجموعة من النتائج وهي كالآتي :**

١- عرض لمفهوم البينة في الإسلام، يعكس مبدأ الحرية وعدم الإكراه، وهذا فيه احترام الإسلام للعقلية البشرية **(أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ)**.

٢- البينة وجه من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم.

٣- التأني في كل شيء، وعدم القدوم عليه إلا بالاقتناع والحرية التامة، واليقين والجزم القاطع.

٤- الفاصل بين الصدق والكذب، والحق والباطل، لا يكون إلا بالبينة والحجة الظاهرة.
٥- العذاب الأليم، والعقاب الشديد لمن رأى وشاهد البينة ولم يؤمن، في جانب النعيم الدائم لمن قبل وآمن بها.
إلى غير ذلك من نتائج أخرى.

توصيات البحث:

١- دراسة الأدلة العقلية والبراهين العلمية وسيلة ناجعة لنشر الإسلام ولا سيما مع أصحاب النزعة التجريبية العلمية.
٢- إبراز أوجه الإعجاز العلمي والبينة العلمية في القرآن، لما له من تأثير إيجابي مع الناشئة والأجيال الجديدة.
٣- تثمين دور الأبحاث والدراسات الدينية الجديدة التي تربط بين التراث الديني الأصيل وفعاليات العصر الحديث المتطورة.
٤- تثمين وإبراز دور الإقناع بالحجة والدليل وتأثيره على الحوار مع الآخر.

المصادر والمراجع

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (ت: ٩٨٢ه) ط دار إحياء التراث العربي – بيروت (٤/ ٢١٧).

٢- أصول البحث العلمي ومناهجه، أحمد بدر–ط وكالة المطبوعات، الكويت–السادسة ١٩٨٢م".

٣- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عبد الله بن عبد العزيز المصلح ،ودكتور عبد الجواد الصاوي، ص٣٠.

٤- البينة العلمية في القرآن الكريم، الشيخ عبد المجيد الزنداني، موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

٥- البينة في الشريعة والقانون دراسة مقارنة، بحث مقدم لمرحلة الماجستير، د. محمد زكريا محمود صاري (ص ٣)، (جامعة بيروت الإسلامية، كلية الشريعة، ١٤٢٦ ه – ٢٠٠٦ م).

٦- تبسيط العقائد الإسلامية، حسن محمد أيوب (ص: ١٤٥) الناشر: دار الندوة الجديدة، بيروت – لبنان، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣ ه – ١٩٨٣م.

٧- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي المتوفى ١٣٩٣ه، ط الدار التونسية للنشر، تونس عام ١٩٨٤م، (١٠/ ٢٠).

٨- الترمذي، كتاب أبواب الأحكام، باب ما جاء في أن البينة على المدعي، واليمين على المدعى عليه (٣/ ٦١٨)، برقم (١٣٤١)، وقال: هذا حديث في إسناده مقال. ومحمد بن عبيد الله العرزمي يضعف في الحديث من قبل حفظه، ضعفه ابن المبارك، وغيره. وصححه الألباني.

٩- التفسير البسيط لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، المتوفى ٤٦٨ه، قام بتحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة محمد ين سعود، ط عمادة البحث العلمي (١١/ ٣٩٨).

١٠- التفسير البسيط، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري الشافعي (ت: ٤٦٨ ه) (٣٤/ ٣٠٨)، تحقيق محمد بن صالح بن عبد الله الفوزان (جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٣٠ ه).

١١- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ه). ت: سامي بن محمد سلامة. ط: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠ه - ١٩٩٩ م. (٣٤١/٥).

١٢- تفسير المراغي، دار إحياء التراث العربي بيروت (٧/ ٧٦). وانظر: الفعل الحضاري في القرآن الكريم للدكتور محمد عبد الله زرمان ص ١٠٠، ١٠١.

١٣- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي (١/ ١٥٤)، تحقيق: د. محمد رضوان، (الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٠ ه).

١٤- جامع البيان في تأويل القرآن، للإمام محمد بن جرير الطبري، المتوفى ٣١٠ه، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٣/ ٥٦٨).

١٥- جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، المتوفى عام ٣١٠ه، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م (٥/١).

١٦- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي المتوفى ٦٧١ه، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية (٩/ ٢٥).

١٧- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردولي، وإبراهيم أطفينين، ط دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٤م (٨/ ٢٢).

١٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمد بن عبد الله الحسيني الألوسي، المتوفى (١٢٧٠ه) تحقيق: عبد الباري عطية، ط دار الكتب العلمية، بيروت، (٥/ ٢٠٥).

١٩- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (٥/ ٢٠٨٣)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (الطبعة: الرابعة، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م)،

٢٠- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (٨/ ٣٨١)، (الطبعة: الأولى، دار الهجرة، إيران، ١٤٠٥ ه)،

٢١- فتح القدير للإمام الشوكاني (ت: ١٢٥٠ه) ط دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، (٥٧٣/٢).

٢٢- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي، أبو إسحاق، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م (٦/ ٦٣)

٢٣- لسان العرب للمؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١ه) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ ه (٣٢٨/٢).

٢٤- المحيط في اللغة، للصاحب إسماعيل بن عباد (١/ ٤٠٨)، (الطبعة: الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٤ م)،

٢٥- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للمؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠ه) الناشر: المكتبة العلمية – بيروت (٤٦/١).

٢٦- معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج (ت: ٣١١ه) ط عالم الكتب بيروت، (٢/ ٣٥٣، ٣٥٤).

٢٧- معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (١/ ٣٢٧، ٣٢٨)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، (الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩ه – ١٩٧٩م).

٢٨- مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، ط وكالة المطبوعات بالكويت، الثالثة ١٩٧٧م".

٢٩- الواضح في علوم القرآن ص ١٦- ٣٠ بتصرف كبير. الواضح في علوم القرآن، المؤلف: مصطفى ديب البغا – محي الدين مستو الناشر: دار الكلم الطيب – دار العلوم الإنسانية، سنة النشر: ١٤١٨ – ١٩٩٨، رقم الطبعة: ٢.